

المقدم في الكهنة  
نيقولايوس إثنا سيف  
أستاذ في المعهد اللاهوتي في باريس



عَرَبَهُ عَنِ الرُّوسِيَّةِ المُتَّبِعِيَّةِ اسْبِيْرِيدُونْ جِنْوُرِي

تألیف المقدم في الكهنة  
نیقولای اشناسیف<sup>۷</sup>  
استاذ في المعهد اللاهوتي<sup>۸</sup> في باريس

# مَائِدَةُ الرَّبِّ

عَرَبَه عَنِ الرُّوسِيَّةِ  
الْمُتَبَولِيَّةِ<sup>۹</sup>

اسپیریدون خنوری

منشورات النور

## مقدمة

ان الكنيسة التي أسسها يسوع المسيح في العشاء السري الاخير تحققت في يوم العنصرة عندما اقام الرسل القديسون اول افخارستيا . فخلية الله الاولى المخلوقة بالابن وب بواسطته تقابلها الخلية الجديدة « في المسيح » بالروح وبواسطة الروح . ان المسيح يسوع يقدم انتظار « سكن الروح » ( اعمال ١ : ٤ ) بدلاً من انتظار الرسل للمملكة الماسيانية انتظاراً مبنياً على مفهوم العهد القديم . فعمل الروح القدس يبتدئ اذن بعيد العنصرة ، فالمملكت لا يقترب فحسب بل قد اقترب بالفعل لأن الروح هو بوقه وعربونه . ان وجود الكنيسة الفعلي ابتدأ بالروح وب بواسطته ، فقد كان الرسل في اليوم الخمسيني سكارى بالروح « في جسد واحد » ( ١ كور ١٢ : ١٣ ) واصبحوا في سر الشكر المكمل بالروح وب بواسطته . انه « ذبيحة روحية » تقدم في « البيت الروحي » ( ١ بطرس ٢ : ٥ ) .

ان شعب الله الذي اقامه ( الله ) لنفسه في العهد الجديد يجمعه هو في جسد المسيح، فصيرورة المعتمدين في «الجسد الواحد» تم في سر الشكر، سر الجماعة كما يسميه ديونيسيوس الاريوباجي. ولكن جماعة شعب الله «في المسيح» تؤلف الكنيسة . ان الاشتراك في «سر الجماعة» ان هو سوى توسيع حياة الكنيسة والحياة فيها . تقوم الافخارستيا مقام المركز يتوجه اليه الكل وبه يتوحد . «هذا هو جسدي» . الا ان الجسد يتحقق في القدس الاهلي ، وهذا ليس مجرد اجتماع فحسب بل مائدة الرب ايضاً والرب آت لأن الله قد مجده ، وهو يسود في الكنيسة بالروح ، وبما انه يأتي فهو يدخل في الكنيسة عندما يجتمع المؤمنون حول «المائدة الربية» . «عندما تجتمعون في الكنيسة» .

ان القدس الاهلي هو اجتماع شعب الله في المسيح ولكن الاجتماع يحوي في ذاته فكرة الخدمة . فشعب الله يجتمع اذن في الكنيسة لخدمة الرب وحيث يؤدي كل فرد خدمته بالشركة مع الآخرين تحت رعاية واحد . لا اجتماع في الكنيسة خارج الخدمة ولكن لا خدمة ايضاً بدون اجتماع . كما انه لا مائدة دون مساهمين ولا مساهمين في المائدة دون مترئس .

ثمة مواضيع ثثار بوقت واحد في اماكن

وحلقات مختلفة . امثال ذلك الموضوع الذي يتناول الخدمة والذي يتكلمون عنه كثيراً في الاوساط الارثوذكسيّة . ولا عجب في ذلك لأن الخدمة المشتركة بمعناها الخاص ميزة من ميزات الخدمة الإلهية الارثوذكسيّة . ولكن الاعجب من كل هذا هو ان موضوع الخدمة المشتركة اثير او لا في الكنيسة الكاثوليكية التي تقاد تجدها في حياتها العملية .

ان القضية المتعلقة بالخدمة المشتركة هي قضية الخدمة المشتركة ساعة اتمام القدس الاهلي بنوع خاص . ونحن لا نثير هنا مسألة اكمال طريقة لاتمام القدس الاهلي : فيما اذا تمت مع الخدمة المشتركة او بدونها . فحديثنا ليس عن اي هو الافضل بل عن مقدار ما تتحقق الخدمة المشتركة طبيعة سر الشكر وهل من الممكن ان يكون هذا بدون تلك . وعليه اذن فمشكلة الخدمة المشتركة لا يمكن ان تنظر اليها كمشكلة كيفية الخدمة الاهلية .

ان وراء موضوع الخدمة المشتركة يمكن موضوع الكنيسة لأن سر الشكر غير منفصل عن هذه ، كما انه ليس من الممكن ان نبني اسس التعليم عن الكنيسة بالاستقلال عن التعليم في الافخارستيا ، اذ لا يمكننا ان ندرك هذه بالخارج عن تلك .

ان كل منا شعر بدون شك ، على طريقته الخاصة وبدرجة وقوة متفاوتتين ، ببعض عدم موافقة ممارساتنا الليتورجية الحالية ، وذلك نتيجة السير التاريخي البعيد والمستمر الذي أفقد الخدمة اشياء كثيرة كانت قبل ، وادى الى ظهور امور عديدة لم تكن منذ البدء . فمهما تقتصر او لا على محاولة اعادة ما يكون اساس حياتنا الليتورجية الثابت وفصله عن الدخيل اليه ولا ازعم بالقيام بأي اصلاح جذري في تطبيق حياتنا الليتورجية . فقبل ان نعتمد اي اصلاح من الاصلاحات علينا ان نتفهم وندرك ما تحوي الكنيسة . ان عدم رضانا يتأتى او لا من فقداننا لمقومات الكنيسة الاساسية اكثر منه لانحراف في تطبيق حياتنا الليتورجية . فنحن نشدد على الامور غير الجوهرية متناسين ما يكون اسس

هذه الحياة . ي يجب علينا والحالة هذه ان تحدث  
تغييراً في ذواتنا قبل ان نقوم بأي تغيير في  
استعمالنا الليتورجي اليومي ، ان الافخاريستيا  
تعبير عن حياتنا في الكنيسة ، فعليها ان تتخذها  
كحياة وفعل لأن حياتنا حياة مشتركة وعملنا  
عمل شركة . لقد نقضنا مفهوم هذا المعنى العميق  
وعليها ان نعود اليه قبل كل شيء .

انا اعلم ان مهمتي عقوفة . لأن كل تغيير في  
الوضع القائم غير مستحب دائمًا . ان وضعنا  
الحاضر وضع الفردية المتطرفة . لقد ادركت  
الكنيسة في وعيها الاولى انه يجب ان تكون  
دائماً سوية مجتمعين حول امر واحد في مكان  
واحد . اما الان فنحن لا نكاد نكون سوية . كل  
منا يفتش عن نفسه ولاجل نفسه . ان التغلب على  
هذا الانكماش ليس بالسهل ولا بالبساط كما انه  
ليس سهلا الدخول خاصة في الارجاء المسكونية  
للحياة الكنيسية ولكن لا نخدع انفسنا فالارجاء  
المسكونية الاصلية تتفتح في الكنيسة فقط ، وليس  
في الخارج عنها ، اي عندما نجتمع « كلنا سوية »  
حول امر واحد في الكنيسة الواحدة .

## الفضل الأول

«عند ما تجتمعون في الكنيسة ...»

## ١

## اجتمعوا دائمًا ككلكم معاً

يقول الفيلسوف الشهيد يوستينوس : « في اليوم المدعو بـ يوم الشمس يجري عندنا في مكان واحد اجتماع جميع الساكنين في المدن والقرى »<sup>١</sup>. ان الافخاريستيا كانت تدعى اجتماعاً في نصف القرن الثاني بعد المسيح. وقد عمت هذه التسمية وانتشرت وحفظ عليها حافظة شديدة طيلة عصور حتى ان كاتب « حول المراتب الكنسية » في اواخر القرن الخامس او اوائل السادس، يسمى سر الشكر « سر الاجتماع والشركة ». ان مسيحيي رومية كانوا يجتمعون في عصر يوستينوس الشهيد في مكان واحد وفي يوم الشمس لاقامة الذبيحة الالهية . وهذا اليوم هو اول يوم بالنسبة الى الرومانيين يقابلها الان نهار الاحد « في اول يوم بعد السبت » ( متى ٢٨ : ١ ) . في يوم الاحد كان اذن عند المسيحيين اول يوم من الاسبوع . وكان ابتداء الخلية الجديدة في المسيح بقيامة الرب من القبر . وكان للكنيسة الام الاولى آنذاك اجتماع افخاريستي واحد ، اذ ليس لدينا اية معلومات بأن ثمة اجتماعات افخاريستية اخرى كانت تقام في نفس الوقت اي في « يوم الشمس »، كما ان الفكر المسيحي في القرن الثاني ينفي ايضاً امكانية قيام اجتماع افخاريستي آخر في الكنيسة المحلية لاحل

١ - الشهيد يوستينوس في كتابه الدفاع ، فصل ٦٧ في الترجمة الروسية ، موسكو ١٨٦٤ ، صفحة ١٠٧ - ١٠٨ .

جماعات متفرقة، لقد كانوا كلهم معاً في الكنيسة  $Epi to afto$  ٢٦ ٥٣ ٤٧<sup>١</sup>. «Epi to afto» اي في اجتماع سر الشكر . ان عبارة «اليه او فيه» ظلت تعني الاجتماع الافخاريستي ذاته : وكان الرب يجمع كل يوم عدد المخلصين «اليه»  $Epi to afto$  ٢٦ ٥٣ ٤٧<sup>٢</sup> «( اعمال ) ٢ : ٤٧ ». وهكذا نرى ان يوستينوس استعمل نفس العبارة «اليه» ليدل على ان كلامه يتناول الاجتماع الافخاريستي . فالحضور في الكنيسة اذن كان يعني ابتداء من يوم العنصرة الاشتراك في اجتماعها الافخاريستي . فحيث يكون اجتماع سر الشكر فهناك تكون الكنيسة والعكس صحيح .

الا ان مفهوم «المدينة» الاغريقية – الرومانية المتأخرة دخل في الصير الكنسي وبدل هذا الوضع الاساسي للافخاريستيا الاولى من جهة نظرها الكنيسية . فقد ظهرت ضمن كنيسة المدينة الاسقافية عادة الاجتماعات الافخاريستية التي كان الكهنة يقومون فيها بالذبيحة الالهية بالاستقلال عن سر الشكر الذي كان يتممه الاسقف نفسه . ونشأ من جراء ذلك مبدأ جديد الى جانب مبدأ الاجتماع الافخاريستي الوحيد في الكنيسة المحلية كتعبير عن وحدتها ، فقلل او نقض المبدأ الجديد وحدة الكنيسة المحلية التي يرئسها الاسقف وكان ان تغلب في هذا الاصطدام مبدأ «المدينة» على المبدأ الافخاريستي ونهاه بعيداً ، في حين انه كان مجهولاً تماماً في عصر يوستينوس .

١ - تتبين الترجمات الاجنبية قراءات متعددة لهذه الآية : ان الرب كان يزيد عدد المخلصين في الكنيسة . وبالواقع فان الامر كان يعني الشيء ذاته في العصر الرسولي اي ان عبارة «اليه» كانت العبارة الكلمة للكنيسة . ومع ذلك فهنا لا شك فيه ان قراءة «اليه او فيه» تبدو اقدم من قراءة «في الكنيسة» . ومن المرجح ان تكون الامثلة الاخيرة تصحيحاً نسخياً بقصد الايضاح .

ان مسيحيي كنيسة رومية المترفين كانوا يجتمعون دامماً سوية ليعيدوا  
 كلهم يوم قيامة المسيح، تدفعهم الى ذلك متطلبات الوضع الراهن وخوف  
 القصاص والتهديد بالموت غالباً وتقهم خاصة الى الالتفاف حول معين  
 الحياة الكنسية الواحد. وقد ضحى كثير منهم بارواحهم لاجل الشهادة  
 للمسيح انه رب ( كيريوس ) مقدمين اجسادهم ذبيحة لله . الا انهم  
 اظهروا في حياتهم ايضاً ان رب يسوع واحد بالنسبة اليهم ، وان  
 مائدة رب واحدة هي وكلهم واحد فيها اذ ان كل واحد منهم متعدد  
 مع الآخرين . ولكننا مع ذلك كله فلن نذهب بعيداً فنؤله ناحية من  
 نواحي تاريخ الكنيسة البطولي . فكثير هم الذين كانوا ينتعون عن الاجتماع  
 الافتخاريسي في زمن يوستينوس الفيلسوف كما يفعلون في عصرنا . فقد  
 كان هناك مرضى ومسنون يعيشون بعيدين ولم يكن باستطاعتهم ان  
 يجتمعوا في « يوم الشمس » في مكان واحد ، وكان منهم المنهمكون باشغالهم  
 في ذلك اليوم كما ان فيهم من كانوا بعيداً مرتبطين بطاعة اسيادهم  
 « فانظروا ايها الاخوة الى المدعون فيكم فليس كثيرون حكماء بحسب  
 الجسد ولا كثيرون اقواء ولا كثيرون شرفاء . وانا اختار الله ما هو  
 جاهل في العالم ... وما هو ضعيف فيه ... وما هو خسيس وصغير  
 وغير موجود ليعدم الموجود » ( ١ كو ١ : ٢٦ - ٢٨ ) . لقد كانت  
 اکثرية المسيحيين من غير الحكماء ومن الخسيسين والحقيرين .

ان يوم الشمس لم يعلن يوم بطاله الا في القرن الرابع فقط . وقد  
 بقي هذا اليوم يوم عمل في مدى ثلاثة قرون . وكان كثيرون من بين  
 الذين دعاهم رب يستغلون في هذا اليوم . ولكن لدينا في الآثار المسيحية  
 بعد عصر قسطنطين ادلة على ان اسياد العبيد لم يحصلوا دون اشتراك  
 هؤلاء في الاجتماع الافتخاريسي . ومع ذلك فقد كان على يوحنا الذهبي  
 القم ان يذكر ارباب العبيد بان هؤلاء ليسوا لهم ولكن للرب فتراه  
 يخاطبهم هكذا : « وانت يا من تقول باني اسود على العبيد والارقاء

وقد ولدوا في بيتي ، ياله من كبراء واهانة ! ان كلماتك هذه موجهة ضد الله ... انيأسود وآمر ! بكم اشتريت عيذك ؟ اي شيء وجدت في العالم باستطاعته ان يوازي الانسان ؟ بأي ثمن تشنن العقل ؟ كم وزنة دفعت ثمن صورة الله ؟ <sup>١</sup> ففي الكنيسة ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر .

هؤلاء نجدهم خارج الكنيسة . سواء كانوا كثيرين ام قليلين . ولكن على كل الاحوال فقد كان عددهم اكثر من وقتنا الحاضر . كانوا يجتمعون في مكان واحد لأن اجتماع سر الشكر كان اجتماع الكنيسة كلها . فالافخاريستيا هي « عمل » الكنيسة الذي تقوم به لاجل اعضائها كلهم وليس بعض منهم .

ان أغناطيوس المتوشح بالله احد الاساقفة الانطاكيين الاولين الذي عاش خمسين سنة تقريباً قبل يوستينيوس الشهيد يخاطب مدينة رومية في رسالته كما يخاطب كنيسة محلية ، وذلك في طريقه اليها حيث قدّم نفسه « ذبيحة للمسيح ». فوحدة الكنيسة المحلية تشكل احد اسس هذه الرسالة وغيرها . فهو يقول : « كونوا غيورين مواطنين على سر الشكر ( اي كونوا متسلكين بالافخاريستيا الواحدة ) لأن جسد ربنا يسوع المسيح واحد ، الكأس واحدة في جسده الواحد ، مائدة واحدة واسقف واحد مع الكاهن والشمامسة الخادمين معه . وعليه اذن فكل ما تفعلونه فافعلوه كأنه آت من الله » <sup>٢</sup> .

ان الكنيسة المحلية واحدة لان فيها « مذبحاً واحداً » اي اجتماعاً افخاريستياً واحداً وهو واحد لأن الخبز واحد والكأس واحدة . يعيد أغناطيوس هذه الفكرة باللحاج في كل رسائله . وهذا المعنى الذي

١ - في كتاب الجامعة ، العظة الرابعة .

٢ - في رسالته الى اهل فيليبي ، الترجمة الروسية قازان ، ١٨٥٧ ، صفحة ١٤١ .

قبله الجميع ينحصر في كون عصر اغناطيوس كان تحولاً فجائياً في حياة المسيحية القدية الكنسية، وبعدهم يعرض عليهم فيقولون ان قبل هذا العصر كان يقام في كنيسة المدينة عدة اجتماعات افخارستية وكان يجتمع فيها جماعات مسيحية منقسمة ، وان القديس اغناطيوس بدخوله الوحدة الاسقافية اجتهد ان يدخل مبدأ الاجتماع الافخارستي الواحد في كل كنيسة محلية . ان وجة النظر هذه التي دعا اليها اللاهوت الليبارالي ودخلت الى الارثوذكسي ليس لها اي اساس في الحياة المسيحية لذلك العصر ولا في رسائل اغناطيوس نفسه . ومما يمكن تأثير اغناطيوس على الحياة الكنسية في عصره فانه لم يكن في وضع يمكنه من ادخال ما لم يكن موجوداً بالكلية فيها . ان اسس الحياة الكنسية ترتكز على التقليد وعليه فكل ما يخرج عن حدود التقليد يلاقي دائمًا ممانعات . وجملة البابا استفانوس ( القرن الثالث ) الشهيرة القائلة بأنه « يجب ان لا تدخل اية جدة في الحياة الكنسية بل يجب ان يرتكز كل شيء فيها على التقليد »<sup>١</sup> هذه الجملة تعتبر عن ضمير الكنيسة الاساسي قبل المجمع النيقاوي . ان الجدة لم تكن من جهة اغناطيوس ولكن اتت من حوادث الحياة المعاصرة . تلك الحوادث التي انتهكت حرمة التقليد الكنسي . فوحدة الكنيسة المحلية ، الكنيسة الانطاكيه ومن المحتمل في الكنائس الأخرى ، كانت مهددة . والى جانب الاجتماع الافخارستي الواحد الذي كان « موروثاً » منذ البدء ظهرت اجتماعات منفصلة لم تكن لتضم جميع اعضاء الكنيسة ولكن البعض منهم . ان احد اسباب هذه الظاهرة الجديدة ، وانا اسوق واحداً من عدة ، يرجع الى ان بعض افراد الكنيسة المحلية كانوا يرغبون تحت تأثير العادة اليهودية ، ان يقيموا الذبيحة الالهية ليس في « اليوم الاول بعد السبت » اي في يوم الرب ولكن في يوم السبت . « وهكذا فاذا كان الذين يعيشون

---

١ - الرسالة الى كبريانوس ( ١ : ٧٤ ) .

في الزمن القديم ( اي في الترتيب القديم للأشياء ) قد اقتربوا من الموعد الجديد فهم لا يسبتون بعد ولكنهم يعيشون حياة القيامة ... »<sup>١</sup> فالاجتماع الافتخاريسي يجب ان يكون في ذلك اليوم الذي يسميه شارح رسائل القديس اغناطيوس « باليوم القيامي والملكي » حيث كان الكل يجتمعون لتقديم الذبيحة الالهية . واتمام جماعات صغيرة مسيحية سر الشكر في يوم السبت ، مع كونهم غير هراطقة ولا منشقين ، بحضور كاهن من الكهنة هو تقويض لوحدة الكنيسة المحلية وتجزئتها لجسد المسيح الواحد وكأسه الواحدة . « يجب ان لا ندعى مسيحيين بالاسم فقط بل ان تكون بالفعل فان البعض يعترفون بالاسقف بشفاههم ولكنهم يفعلون كل شيء بدونه . فهو لاء على ما يظهر لي قليلاً الضمير وذلك لأنهم لا يقيمون اجتماعاتهم بوجب الوصايا تماماً »<sup>٢</sup> وعندما يفعلون هكذا يخدعون ذواتهم ، ويخدعون « باجتماعاتهم غير المثبتة » ( اي غير الفاعلة وغير القانونية ) . ان الافتخاريستيا الفاعلة هي تلك التي يتمتها الاسقف او من ينتدبه .

« وهذه الذبيحة يجب ان لا تثير اي شك ( اي غير المتردعة ) اعني الذبيحة التي يتمتها الاسقف او من يسمح له »<sup>٣</sup> لأجل تعبيد « يوم الرب » . على جميع اعضاء الكنيسة المحلية ان يجتمعوا حول الذبيحة التي يقدمها الاسقف . مما تقدم يتبيّن لنا :

١ - ان الاجتماع الافتخاريسي هو اجتماع واحد: اسقف واحد في الكنيسة المحلية، وكل اجتماع آخر اذن غير ممكن لانه غير ممكن وجود اسقفيين في الكنيسة المحلية الواحدة .

١ - الرسالة الى اهل مفتازيا . ١٠٩ الترجمة الروسية ، صفحة ٨٣ - ٨٤ .

٢ - نفسه : الترجمة الروسية ، صفحة ٧٧ - ٧٨ .

٣ - الرسالة الى اهل ازمير ، ١ : ٨ ، الترجمة الروسية ، صفحة ١٧٣ - ١٧٤ .

٢ - ان الاجتماع الافخاريستي يمكن ان يقام فقط لجميع اعضاء الكنيسة الواحدة وليس لبعض منهم لأن هذا الاجتماع هو اجتماع الكنيسة . ووحدة الاسقف تشرط وحدة الاجتماع الافخاريستي كا ان وحدة هذا تفترض اسقفاً واحداً . ولو لم يكن في الحياة الكنسية في زمن اغناطيوس المتواوح بالله اجتماع افخاريستي واحد للكنيسة المحلية يترأسه ممثل واحد ووحيد لما كان باستطاعة اسقف انطاكيه ان يفرض وجهة نظره على ترتيب الكنيسة المحلية ، ولو اقدم على ذلك كانوا بيسروا له ان تعليمه لا يماشي التقليد الذي تسلمه من الرسل . ان اغناطيوس كان يعمل جده ليحافظ في الكنيسة على ما وجد في زمانه وقبله مع العلم انه كان يدخل الى هذا كله الى حد ما محتوى ومعنى آخرين .

ونحن لا نعلم اذا كانت تقام اجتماعات افخاريستية في زمان اغناطيوس غير يوم الاحد . « اجتهدوا ان تجتمعوا غالباً لاجل الذبيحة الالهية وتجيد الله »<sup>١</sup> . لا شك ان اغناطيوس وكذلك يوستينوس الشهيد وبعدهما عدد من الآباء كانوا يتمنون ان تلتئم الكنيسة المحلية في الاجتماع الافخاريستي اكثر من المعتاد وبقدر الامكان . ولكن على ان يتبع الشرط الاساسي الا وهو ان يكون الكل مجتمعين سوية ، « في مكان واحد » تحت اشراف الاسقف . وبكلمة اخرى نقول ان اغناطيوس كان يدعو الاسقسيين الى اقام الذبيحة غالباً اذا كانوا يستطيعون ان يجتمعوا كلهم سوية مع الاسقف . ان التشديد في دعوة اغناطيوس هذه يتناول اجتماع الكل سوية اكثر مما يتناول الاجتماع بحسب ذاته . يجب ان تكون مائدة واحدة في كل كنيسة محلية حيث يقيم اسقف واحد . « اما انت فلا تفعلوا شيئاً بدون الاسقف والكهنة ولا تحاولوا

١ - الرسالة الى اهل افسس ، ١ : ١٣ ، الترجمة الروسية ، صفحة ٥٩ .

ان تتموا اي عمل منفردین و اذا ظهر لكم انه ضروري فافعلوه في «الكنيسة» ولتكن صلة واحدة ، غفران واحد، فكر واحد، رجاء واحد في المحبة في الفرح الكامل ، ان يسوع المسيح واحد وليس شيء افضل منه . وهكذا انتم فا هرعوا الى هيكل الله الواحد، كما الى مائدة واحدة والى يسوع المسيح الواحد .. »<sup>١</sup> .

ان وحدة المائدة مشترطة وعلى ذلك فعملية اجتماع الاعضاء ليست صورة فحسب لا تخفي وراءها اي محتوى حقيقي . فالمائدة واحدة في الكنيسة وكذلك الاسقف واحد في الكنيسة ، وهو يتقدم الى المائدة الواحدة عندما تكون الكنيسة بافرادها كلهم مجتمعة معه، ولا يستطيع ان يفعل ذلك بالاستقلال عن اعضاء الكنيسة المجتمعين حول هذه المائدة لأن الاسقف يخص الكنيسة وهي نصيبيه ليعمل فيها . اما هذه فهي اجتماع الجميع في مكان واحد . لا يمكن ان يكون في الكنيسة اعمال انفصالية لأن اعمال الاسقف تحوي في ذاتها عمل الجميع كا ان عمل الجميع يحوي في ذاته عمل الاسقف . ان هذا الوضع الاساسي في مفهوم اغناطيوس الكنسي عبر عنه في جملته المعلومة : « حيث يكون الاسقف فهناك يجب ان يكون الشعب وحيث يكون يسوع المسيح فهناك تكون الكنيسة الجامعة الكاثوليكية <sup>٢</sup> ان الاسقف يمكنه ان يوجد فقط مع الشعب والعكس صحيح واجتماعهم يؤلف الكنيسة الكاثوليكية . ففي الاجتماع الافخارستي الذي هو تعبير عن الكنيسة في تمام ملئها يعتلي الاسقف ذلك المكان الذي شغله المسيح في العشاء السري ، وهو يستطيع ان يشغل هذا المكان فقط في تلك البرهة التي تكون فيها الكنيسة ، اي

١ - الرسالة الى اهل مغنازيا ٧ : ١ - ٢ ، الترجمة الروسية ، صفحة ٨٣-٨٤ .

٢ - في رسالته الى اهل ازمير ٨ : ٢ ، الترجمة الروسية ، صفحة ١٧٤ ان ترجمة هذه الجملة من الصعوبة بمكان بعيد . وانا اعتبر ان ما ورد في الترجمة الروسية هو خير ما يكون ( المؤلف ) .

عندما يجتمع معه كل شعب الله وذلك لأن المسيح أقام الافخاريستيا ليس لأجل أعضاء الكنيسة منفصلين ولكن لأجل الكنيسة كلها في تمام ملئها وفي وحدتها المطلقة<sup>١</sup>.

٣ - ان ايضاح تعليم أغناطيوس المتشوش بالله يمكن ان نجده عند الرسول بولس في تعليمه عن الكنيسة، ولكن تعليم بولس لم يكن تعليمه الخاص وانما تعليم الكنيسة . فهو اسبطه نقبل نحو منه التقليد الكنسي نفسه ، وهو يقودنا بدون ادنى شك الى المسيح : « فأني قد تسلمت من رب ما قد تسلمت ايضاً » . ( ١ كو ١١ : ٢٣ ) . ان مفهومه عن الكنيسة وتعليمه فيها كان منذ البدء الى النهاية تعليماً افخاريستياً، ولم يزد شيء جديد في العصور اللاحقة على ما فاه به بولس الرسول .

اننا نجد مفتاح تعلم بولس الرسول في جملته «كنيسة الله في المسيح» فهذا التعبير تميز به بولس الرسول عن غيره ولكن محتواه كان التعليم العام للكنيسة الناشئة. لا يمكنني ان اعطي هنا تحليلًا مفصلاً لهذه الجملة وانا لست بواجد ضرورة لذلك ومع ذلك فأني سأتوقف قليلاً عند اساس محتواها متحاشياً كثيراً من التفاصيل.

ان الكنيسة هي كنيسة «الله» *Tou theou* Θεοῦ Tou «*Tou theou*» لانها اجتماع الشعب الذي انتقاء الله لنفسه (وهذا معنى العبارة اليونانية التي لا تشير اي شئ «اكليسيا») وان اعضاء الكنيسة قد دعاهم الله *Kλητοί* «*Kliti*» ليساهموا في اجتماع شعب الله *Litourgyia* لitanies لعلى . فهى اذن كنيسة «الله» اي انها تخص الله . ان *Liturgia* «*Litourgia*»

١ - ان مفهوم شمولية الكنيسة عند اغناطيوس ، كما هو عند يوستينوس يبدو مثاليًا ، اما في الحياة العملية فان هذا الماء لا يتحقق . وذلك لانه دائمًا يتخلل بعض الاعضاء عن الاجتماع الافخاريستي .

شعب الله في العهد القديم يخصل الله كنصلبيه على الارض ويكون في خدمته وذلك بواسطة الخصوص للناموس الذي تسلمه من الله . وانتهاء الشعب الى الله كان ممهوراً بدم الثيران . اما في العهد الجديد فالشعب المنتخب يجتمع ليس في الهيكل على جبل صهيون كما كان الامر في العهد القديم بل في هيكل جسد المسيح ( يو ٢: ٢٢ ) . ليس جسد الثيران ولكن دم ابن الله الذي قدمه عن الجميع مرة واحد ( عبر ٧: ٢٧ ) ، **Eφάπαγ** « هو الذي ختم انتئائية الشعب الله . ان الانئائية الخاصة عبّر عنها في الكنيسة بالقول المأثور : **Xριστός** » . **En khristo** « في المسيح »<sup>١</sup> الذي بدوره يعبر عن التعليم في الكنيسة كجسد المسيح .

« فاني قد تسلمت من الرب ما سلمته ايضاً اليكم ، ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها اخذ خبزاً وشکر وكسره وقال : هذا هو جسدي الذي لا جلكم اصنعوا هذا الذكري » ( ١ كو ١١: ٢٣ - ٢٤ ) . لقد اسس المسيح الكنيسة عشية الجلجلة باقامته الافخاريستيا ، اسس الكنيسة التي يقول للرسل عنها : « سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليهما » . ( متى ١٦: ١٨ ) . ان تأسيس الكنيسة متعلق بآلام المسيح وموته وقيامته . فاليسوع بعد كلامه عن الكنيسة اخذ يكلم التلاميذ مباشرة بالحاج عن ان ابن الانسان يجب ان يحيى الى اورشليم ويتعذب كثيراً من قبل الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ويقوم في اليوم الثالث . ( متى ١٦: ٢١ ) .

في الليلة التي اسلم فيها كان يعرف المسيح بأن هذه هي ليلته الاخيرة

١ - ان عبارة بولس « في المسيح » **Xριστός** لمن الصعوبة يمكن كبير اذا ما جئنا نفسرها . ومع هذا كله فاني اعدها تعبراً عن التعليم بان الكنيسة هي جسد المسيح .

على الارض وان هذا هو عشاءه الاخير ، ذلك العشاء الذي اته قبل صعوده عن تلاميذه . ان « المجتمع » الذي كونه المسيح مع تلاميذه في حياته الارضية لا يتخلص . ولكننه يدخل في مرحلة جديدة من كيانه . لقد كان دائماً مع تلاميذه في زمان حياته الارضية وقد ابتدأ معهم حياة مشتركة وكاسر لهم الخبز حسب العادة اليهودية وببارك الكأس اما هم فسوف يكسرن الخبز ويباركون الكأس بعد موته وقيامته . اما الخبز الذي سيكسرن فهو ذلك الخبز الذي كسره المسيح في العشاء السري والكأس التي سيباركون مثل الكأس التي باركها المسيح ( ١ كو ١١ : ٢٦ ) .. ان الافخاريستيا التي يتمتها التلاميذ الى الان ، الى ان يأتي ، هي عشاء المسيح الاخير الذي يتکمل . وهي متصلة بموته وقيامته كما كان العشاء السري .

ان تلاميذ المسيح يكسرن الخبز الواحد ويباركون الكأس الواحدة الوحيدة . « فبما ان الخبز الواحد فنحن الكثيرون جسد واحد » ( ١ كو ١٠ : ١٧ ) . ان الخبز الذي يتناوله الكلام هنا هو الخبز الافخارستي و « نحن الكثيرون » تعني عند بولس المسيحيين الملتئمين في الافخارستيا . اي ان فكرة الخبز الافخارستي تذكرنا فقط بفكرة الاجتماع الافخارستي الذي فيه يكسر الخبز . فالاتفاق بين الخبز الافخارستي والجسد يظهر باكثر وضوح ايضاً في موضع آخر من نفس الرسالة : « وانت جسد المسيح » ... ( ١٢ : ٢٧ ) « هذا هو جسدي » .

« نحن كلنا او نحن الكثيرون جسد المسيح الواحد ، لأن الخبز واحد وفيه نشارك كلنا » ( ١ كو ١٠ : ١٧ ) . بواسطة الخبز والخمر في الافخارستيا نصبح جسد المسيح . ان الاشتراك يكون « الشركه » *Kοινωνία* « التي هي اتحاد حقيقي في جسد المسيح ودمه » ، وكما ان واقعية الخبز تريننا واقعية جسد المسيح التام ( الكامل ) ،

فوحدة الخبز ، خبز واحد ، تظهر لنا وحدة الجسد . ان التلاميذ الذين التأموا في عيد العنصرة التأموا في الافخاريستيا التي بواسطتها يصبحون « في المسيح » اي انهم يصبحون في جسده وهو بدوره يكون فيهم ، وذلك لأن جسده غير منفصل عن نفسه وبه ايضاً يسكنون في الآب « لكي يكونوا باجمعهم واحداً فاما انك انت ايتها الآب في» وانا فيك فليكونوا هم ايضاً فينا » (يوحنا 17 : 21) . ان جماعة المسيح الأرضية تصبح جسده ، وهذا يصبح الكنيسة « كنيسة الله - في المسيح » اي شعب الله الذي يجمعه الله « في المسيح » وبذلك فهو يخص الله كما يخص مسيحيه . من هنا تحصل مطابقة الكنيسة للافخاريستيا ومطابقة الكنيسة المحلية لكنيسة الله التي تعلم عن نفسها في كل مرة في اجتماعها الافخارستي . فبقوة هاتين المطابقتين يصبح اعضاء الكنيسة المحلية المجتمعون في اجتماع افخارستي كنيسة الله اذ يعلمو عن انفسهم اعضاء جسد المسيح . ولهذا السبب فان الاجتماع سوية في الافخاريستيا يعني الاجتماع « في الكنيسة » عندما تجتمعون في الكنيسة ، يحضر المسيح بملء جسده في الافخاريستيا ، خبز واحد وكأس واحدة ، ولكن جسده هو الكنيسة . وحيث يتم سر الشكر فهناك الكنيسة وحيث الكنيسة فهناك يتم سر الشكر . ان هذا المبدأ هو الوضع الاساسي لمفهوم الكنسي الافخارستي والذي كشف عنه بولس الرسول .

ان حضور المسيح في الافخاريستيا ذو وجهين . يحضر المسيح في سر الشكر ذلك لأن الخبز الافخارستي هو جسده ويوجد معنا فيها على نفس الحال التي وجد فيها مع الرسل في العشاء السري ، وان كان وجوده معهم ناب عن وجوده في المقدسات الافخارستية ، الا ان جسده الارضي بعد القيامة غير منفصل عن جسده المجد<sup>1</sup> . الحق اقول لكم اني لن

---

1 - انظر مقال اوسكار كولمان « تخلص الجسد البشري السابق بموجب تعلم العهد الجديد » في مجموعة « Hommage et Réconnaissance à K. Barth. Neuchâtel, Paris 1946, p. 36.

اشرب من ثُمر الْكَرْمَةِ إلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبَهُ فِيهِ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ ( مر ١٤ : ٢٥ ) . لَقَدْ سَبَقَ فَأْتَى مَاسِيَا « اتَى إِلَى خَاصَتِهِ وَخَاصَتِهِ لَمْ تَقْبِلْهُ ، امَّا جَمِيعُ الَّذِينَ قَبْلُوهُ فَقَدْ آتَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا ابْنَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاسْمِهِ ( يو ١ : ١١ - ١٢ ) . لَا يَكُونُ انْ يَكُونُ مَاسِيَا بِدُونِ مَلَكَةٍ وَبِدُونِ شَعْبٍ . بِالآلامِ وَالْمَوْتِ وَالْقِيَامَةِ حَصَلَتِ الْمَلَكَةُ وَكَانَتِ الْجَلْجَلَةُ بَدْءُ الدُّخُولِ فِي الْمَلَكُوتِ : « لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْفَعَ يَوْمَ الْحُسْنَى Ypsothine في كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ » ( يو ٣ : ١٤ - ١٥ ) « وَأَنَا مَتَى رَفِعْتُ عَنِ الْأَرْضِ اجْتَذَبْتُ إِلَى الْجَمِيعِ » ( يو ١٢ : ٣٢ ) اَنْ فَعَلَ رَفِعَ يَوْمَ الْحُسْنَى Ypsothine « يَعْنِي الرَّفِعَ وَالْتَّمْجِيدَ فِي آنِ وَاحِدٍ . فَالْأَرْتَفَاعُ عَلَى الصَّلِيبِ كَانَ بَدْءُ الْمَجْدِ وَالْتَّمْجِيدِ يَحْصُلُ عَبْرَ الْجَلْجَلَةِ . « لَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِي مَلْكٌ » إِلَى أَنْ يَضُعَ جَمِيعُ أَعْدَائِهِ تَحْتَ قَدَمِيهِ ( ١ كُو ١٥ : ٢٥ ) . الْمَسِيحُ هُوَ الرَّبُّ ( كِيرِيوسُ ) « أَصْلُبْ مَلَكَكُمْ » ؟ ( يو ١٩ : ١٥ ) لَقَدْ اخْطَأَ بِيَلَاطِسُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ بِقَوْلِهِ « مَلَكَكُمْ » وَهُوَ الْمَلَكُ الْفَرِدُ وَالْمَسِيحُ الْوَحِيدُ أَنَّ الْمَسِيحَ يَكُونُ بِالْكَنِيسَةِ وَفِيهَا . وَمَلَكُهُ مُقْدَمةُ الْمَلَكُوتِ اللَّهِ فَمَقِيَ اخْضُعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ فَحِينَئِذٍ يَخْضُعُ الْابْنُ نَفْسُهُ لِلَّذِي اخْضُعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ لِيَكُونَ اللَّهُ كَلَّا فِي الْكُلِّ ( ١ كُو ١٥ : ٢٨ ) . لـ « يَوْمُ الرَّبِّ » فِي كِتَابَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ مَعْنَى اسْخَاتُولُوجِيٍّ ، وَهُوَ يَوْمُ مُجِيءِ الرَّبِّ ثَانِيَةً بِمَجْدٍ لِأَجْلِ الْكُلِّ . فِي هَذَا الْيَوْمِ الْكُلِّ « يَشَاهِدُونَ ابْنَ الْبَشَرِ آتِيًّا فِي السَّحَابَ » فِي كَثِيرٍ مِنِ الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ » ( مر ١٣ : ٢٦ ) . وَنَحْنُ مُعْشَرُ الْأَحْيَاءِ نُعيِّشُ فِي هَذَا الْإِنْتَظَارِ الْاسْخَاتُولُوجِيِّ وَلَكِنَّ الْاسْخَاتُولُوجِيَا فِي الْكَنِيسَةِ لَيْسَتِ الْمُسْتَقْبِلُ الْمُحْدُدُ فَقَطُّ ، بَلِ الْحَاضِرِ فِي الْكَنِيسَةِ يَحْوِي فِي ذَاتِهِ الْمُسْتَقْبِلُ وَالْمَاضِي . أَنْ « يَوْمُ الرَّبِّ » سَيَجِيءُ وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِاسْتِمْرَارٍ فِي الْكَنِيسَةِ إِيَّا أَنَّ السَّيِّدَ يَأْتِي إِلَى « خَاصَتِهِ » . وَالْأَفْخَارِ يَسْتِيَا هِيَ مَائِدَةُ الرَّبِّ الْكَائِنُ فِي الْكَنِيسَةِ بِالرُّوحِ : « لِيَ

تأكلوا وشربوا على مائتي في ملکوتي » ( كو ٢٢ : ٣٠ ) ، وهي وليمة الحمل الذي يساهم منذ الآن في مجده الثاني المجيد، إنها الوليمة التي ستشرب ونأكل معه فيها . وسيذوق معنا الخمر الجديدة في ملکوته ونحن ننتظر قدومهلينا في كل مرة في الإفخاريستيا بقولنا « تعال إلينا رب يسوع » ( رؤ ٢٢ : ٢٠ ) هذه هي صلاتنا الإفخارستية : مراناتي — سيدنا يأتي .

« متى اجتمعتم معاً في الكنيسة » ( ١ كو ١١ : ١٨ ) ، ان الكنيسة المحلية تحوي في ذاتها « كنيسة الله في المسيح » والمجتمع الإفخارستي هو اجتماع الكنيسة المحلية كلها « اليه » Epi to afto ٢٥ ٥٦٤٦٥ . ان وحدة جسد المسيح وملءه في سر الشكر يحدد ان وحدة الكنيسة المحلية وملءها في الاجتماع الإفخارستي . والتعلم عن الكنيسة في نظر بولس الرسول ، ذلك التعليم الذي تسلمه من رب ، ينفي امكانية وجود عدة اجتماعات شكرية في الكنيسة المحلية الواحدة . لقد كان ذلك مستحيلا لأن المسيح واحد في ملء جسده ووحدته وبه يحضر في الإفخارستيا عندما يحضر الكل « في الكنيسة » . الكنيسة وحدها في كل ملئها تستطيع ان تقوم بسر الشكر اي ان الإفخارستيا هي « وظيفة الكنيسة وليس عمل فئات متفرقة تم سر الشكر منفصلًا لأجل الأعضاء المنفصلين ، لأن هذا يعني تجزئة الكنيسة المحلية وتجزئة هذه تعني تجزئة المسيح الذي يدعوه الى مائدة كل الكنيسة . فالمائدة ممكنة فقط في الكنيسة التي يملك فيها . ان الزمان لا يتقلص الا في الكنيسة والمستقبل يصبح عمل الروح الحاضر . ان « يوم الرب » ممكن في حياتنا الأرضية هذه وفي الكنيسة فقط .

وثمة سؤال نطرحه : في اي وقت كان يتم الاجتماع الإفخارستي في زمن بولس الرسول ؟ من المعلوم ان اليوم الاكثر موافقة لذلك كان « اول

يوم بعد السبت » وهو يوم قيامة المسيح أضف الى ذلك انه يومه اي « يوم الرب » . « في اول الاسبوع فليعزل كل واحد منكم ما تهيا له ان يدخل .. » ( ١ كو ١٦ : ٢ ) ، و اذا كان بولس الرسول يذكر هذا اليوم فما ذلك الا لانه كان يوم « مائدة الرب » « وفي اول الاسبوع لما اجتمع التلاميذ لكسر الخبز » ( اعمال ٢٠ : ٧ ) . ان لوقا الانجيلي يسمى باكثر وضوح « اول يوم بعد السبت » بيوم الاجتماع الافخاريستي : عندما كان يجتمع الجميع لاجل كسر الخبز واما بولس الرسول فيشير في رسائله رأساً الى تلك الايام الاخيرة التي كانت تم فيها الاجتماعات الافخارستية ولكن يشير ايضاً الى تلك الشروط التي كان يمكن ان تم فيها : « عندما تجتمع الكنيسة كلها معاً <sup>Epi to</sup> πέντε <sup>af to</sup> ٢٤ : ٢٣ ) هذه الكلمة هي كلمة بولس . فالاجتماع الافخارستي بالخارج عن « اول يوم بعد السبت » يمكن اذن ان يجري عندما تجتمع الكنيسة كلها معاً . ومن هنا يتضح لنا ان دعوة اغناطيوس المتوضّح بالله الى الاجتماع الافخارستي لا تختلف في شيء عن تعليم بولس الرسول ولا تزيد عنه في محتواها . فاكليسيولوجية اغناطيوس هي افخارستية ايضاً .

٤ - الكل دائمًا ودائماً سوية . هذه هي خبرة الحياة الكنيسة للمسيحيين الاول . وهي خبرة صدرت من جوهر الكنيسة نفسه . ان السيد دعا الى مائته كل اعضاء جسده ليشرب ويأكل مع الجميع . الكنيسة في المسيح ، ومائدة الرب في الكنيسة والكنيسة المحلية تعلن كنيسة الله عندما تلتئم معاً . ان يوم الرب لأجل الكل وليس للبعض وهذا اليوم يدخل في الكنيسة لأجل الكل . نحن كلنا ننتظر قدومن المسيح في الافخارستيا عندما نكون كلنا مجتمعين حولها كما ننتظر كلنا مجبيئه . « الروح والعروس يقولان هلم ! ومن سمع فليقل ايضاً هلم ! .. »

## الاجماع الافخارستي الواحد

١ - ان الاجتماع الافخارستي هو اجتماع الكل في مكان واحد لاجل خدمة واحدة. تأتي هذه الموضوعة من طبيعة الافخارستيا نفسها لأن المسيح اقامها ولا يفعل المسيح بدون الكنيسة كما ان ماسيا لا يمكن ان يفعل بدون شعب ماسيني . جمع الله شعبه في جسد المسيح الذي هو الكنيسة . وجمع الله هذا الشعب يتحقق كل مرة في الافخارستية . ان صحة هذه الموضوعة تستنتج سواء تحققت في الحياة وسواء بقيت كأثبات عقائدي ما غير واحد ملء اظهاره في الحياة . وعلى ذلك يجب ان نسائل انفسنا اذا ما وجد اجتماع افخارستي واحد . وهو سؤال اساسي للاكليلولوجية الافخارستية يستنتاج منه مفهوم تاريخ الكنيسة في بدء العصر المسيحي في الكنائس المحلية وبنائها .

اذا ما انطلقنا من حياتنا الكنيسية العملية فاننا نفترض ظاهراً جواباً واحداً ووحيداً . كانت الاجتماعات الافخارستية كثيرة في وقتنا الحاضر . ومع ذلك فالاختلاف في الكيفية بين . فاللامهوت الليبرالي المعاصر وضع تعدد الاجتماعات الافخارستية في اساس الزاوية . والحق يقال انها تأتي ليس من الموضع العملي المعاصر ولكن بالدرجة الاولى من التباين القائم بين روح الكنيسة وترتيبها ، فاو ضاعها الاساسية يمكن ان تختصر على زعم الليبراليين بالشكل الآتي : المسيحية الاولى

كانت اسخاتولوجية ليس فحسب وبمعنى انها كانت تنتظر عودة ماسيا المستعجلة، ولكن بمعنى انها كانت تنظر الى نفسها بمنظار اسخاتولوجي. كانت المسيحية بمجموعة من الشعوب تعيش في «الايات الاخيرة»، فبطرس الرسول ابتدأ خطابه الاول بالاستدلال على نبوة العهد القديم : «ويكون في الايام الاخيرة ..» ( اعمال ٢ : ١٧ ) التي اكتملت . والروح الذي اخذه الرسل والذي يأخذه كل الذين يؤمنون بكلامهم هو عربون الزمان الجديد ولذلك فالكنيسة الاولى لم تفكروا ولم تستطعوا ان تفكروا ولا بأي ترتيب (نظام) على الارض وكفالة مؤلفة من اشخاص ينتظرون ظهور رب فقد كانوا يجتمعون حول العشاء السري منفردين بصفة كونهم فئة مؤلفة من اشخاص وبحيث يجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون بينهم ( مقى ٢٧ : ٢٠ ) . ان كلمات المسيح بهذه شاهدة على انه عندما دونت كان بالواقع ليس اجتماع واحد بل عدة اجتماعات افخاريسية وبالتالي غير محددة . لم يكن اجتماع واحد بل اجتماعات افخاريسية عدة ومع ذلك غير مبنية .

ان التضاد بين الروح والنظام او الرتب تضاد وهمي بل غير معقول وهو يستنتاج من مقدمة لا تعلن عن نفسها دائمًا بوضوح ولكنها تعتبر ان ما حدد منذ البداية ليس هو الا عمل الارادة الانسانية . اما الروح فيستطيع على زعمهم ان يوجد فقط الفوضى الخيرة ( المباركة ) . وعليه فالترتيب والنظام ظهرا في الكنيسة في الوقت الذي ضعفت فيه الحياة الكنيسة الخاريزماتيكية وضعف معها التوتر الاسخاتولوجي . ان فوضوية المسيحية الاولى الخيرة خرافة من خرافات العلم . لأن الكنيسة عرفت نفسها منذ الابتداء كنيسة الروح . وبما انها مؤسسة على سر الشكر فقد تحققت بعد نزول الروح . اذا اخذنا هذا المبدأ الذي بموجبه يعتبر كلام المسيح « حيث اجتمع اثنان او ثلاثة ..» دحضاً لفاعلية الحياة المسيحية الناشئة فان العنصرة يحب ان تؤخذ ايضاً كتعبير للشعور

الاولي في المسيحية الناشئة . فالروح في الكنيسة هو البداية المنظمة اي انه في الروح وبالروح اصبحت الكنيسة جماعة المسيحيين الاولين . وعليه فالروح ليس بداء الفوضى في الكنيسة بل بداء الكنيسة نفسها وبداء بنائها .

الكنيسة اسخاتولوجية اي انها بالفعل بداية « الايام الاخيرة » . وبدء هذا الزمان الاخير *Eσχατον* «*Eskhaton*» واقع هنا وان كان اتمامه سيكون في الزمان المستقبل . المسيح استس الكنيسة لاجل هذا « الزمان الاخير » وبالنتيجة فأسخاتولوجية الكنيسة لا تعيق بصورة من الصور وجودها في العالم وكيانها في الحياة . الكنيسة تعيش بين يوم العنصرة والباروسيا ولكن تلك مهيئة لهذه التي بدورها تتحقق في الاجتماع الافخارستي حيث يكون اثنان او ثلاثة مجتمعين باسم المسيح فهنا لك المسيح في وسطهم ولكن لا يستنتج من هذا ان اثنين او ثلاثة يستطيعون ان يجتمعوا بانفصال عن الآخرين .

٢ - ان مسألة وجود اجتماع او عدة اجتماعات افخارستية في الكنيسة المحلية منذ الابتداء يجب ان يحل على اساس كتابات العهد الجديد ولكنها مع الاسف لا تعطي جواباً مباشرأً على هذا السؤال كما هو الامر في قضايا اخرى متعلقة ببنيان الكنيسة في مرحلتها الاولى . فلا نستطيع بالاستناد الى كتب العهد الجديد ان نقرر ما اذا كان يوجد بالفعل اجتماع افخارستي واحد في كل كنيسة محلية . اذن علينا ان نطرح السؤال بصورة اخرى : هل تقدم كتب العهد الجديد دليلاً على وجود عدة اجتماعات افخارستية في حدود الكنيسة الواحدة ؟ واذا كانت لا تقدم لنا الادلة فان عدد الاستشهادات غير المباشرة يعطينا الاساس لنؤكد باكثر ما يمكن من التأكيد انه كان

يوجد اجتماع افخاريسي واحد فحسب في حدود الكنيسة المحلية الواحدة في العصر الرسولي .

ان القائلين بوجود عدة اجتماعات افخاريستية يدعمون تأكيدهم بالدرجة الاولى بنص واحد في كتاب اعمال الرسل وبعده نصوص من كتابات بولس الرسول . واليئ قراءة النص الاول بالترجمة الروسية : « و كانوا كل يوم يلazمون الهيكل بنفس واحدة ويتناولون الطعام باهتاج وسلامة قلب كاسرين الخبز في البيوت » ( اعمال ٢ : ٤٦ ) فهم يستنتجون من هذا القول ان المسيحيين الاول في اورشليم كانوا يجتمعون كلهم سوية في الهيكل لاجل اتمام سر الشكر « لكسر الخبز » و كانوا يجتمعون فئات في بيوت مختلفة <sup>١</sup> . وبالنتيجة فمنذ الابتداء لم يكن في اورشليم اجتماع واحد ولكن اجتماعات افخاريستية متعددة . اما النصوص الاخيرة فتناول « الكنائس في البيوت » واليئ مثلا ( سلموا على برسكلة واكيلا ... والكنيسة التي ( تجتمع ) في بيتهما ) ( رو ١٦ : ٣ - ٤ ) قابل ( ١ كو ١٦ : ١٩ ) : « تسلم عليكم كنائس آسية ، يسلم عليكم في الرب كثيراً اكيلا وبرسكلة مع الكنيسة التي ( تجتمع ) في بيتها » ( كولوسي ٣ : ١٥ ، فيليبي ١ : ٢ ) . ويقصد عادة بكنائس البيوت الكنائس المؤلفة من اعضاء البيت الواحد . وبما انه كان يوجد عدة كنائس في البيوت فقد كان يوجد ايضاً عدة اجتماعات افخاريستية اذ لا كنيسة بدون اجتماع افخاريسي ولا اجتماع افخاريسي بدون كنيسة . وعليه فالكنيسة المحلية لم توجد كوحدة . وبتعبير آخر كان يوجد في الكنيسة المحلية الى جانب الاجتماع الرئيسي عدة اجتماعات افخاريستية مستقلة .

---

١ - اذا كان « كسر الخبز » يعني الموائد العادلة فان عدد ٤٦ يعطي شيئاً بصورة عامة حل مشكلة عدد الاجتماعات الافخاريستية في كنيسة اورشليم .

ولكن اذا ما رجعنا الى النص اليوناني وجدنا ان معنى هذه النصوص ليس بهذا المقدار قطعياً كما يمكن ان يستدل عليه من الترجمات، لا يعني المقام هنا لأنقب عن التحليل ( الفيلولوجى اللغوى ) ، ولكنني اكتفى فقط بدليل واحد فأقول ان عبارة « في البيوت » ( في اعمال ٤٦ : ٢ ) ( والكنيسة البيتية ) عند بولس الرسول والتي نجدها في الترجمات ، ترد في النص اليوناني بعبارة واحدة في كتا الحالتين « كاتا ايكون » Kat'ikon فالعبارة اليونانية Kat'οίκον تستعمل في الاعمال ( ٤٦: ٢ ) بصيغة المفرد وتترجم عادة بصيغة الجمجم « في البيوت »<sup>١</sup>. وعليه فمن المستحسن ان نجد عبارة عامة لاجل ترجمة Kat'ikon « Kat'οίκον » التي يمكن ان تكون مستعملة لبيان النصوص كلها .

لا شك ان عبارة Kat'οίκον « Kat'ikon » عند لوقا وبولس تدل على ان الكلام يتناول « البيت » الذي كان يجتمع فيه المؤمنون . فالكلام عند لوقا كما رأينا سابقاً يتعلق بالمجتمع الافخاريسى . واما بولس فلا يذكر سوى « الكنيسة في البيت » ولكن بمعنى اجتماع ، وبالتالي الاجتماع الافخاريسى . ومن هنا يتضح ان المؤمنين كانوا يجتمعون في العصر الرسولي في البيوت لاقامة الذبيحة الالهية اي انه لم يكن لديهم اي مسكن خاص . هل كان يوجد مثل هذه البيوت في اورشليم حيث كان يجتمع التلاميذ ؟ نعم بحسب الظاهر وكما يستنتج من ( اعمال ٤٦ : ٢ ) . ومع ذلك فان هذا الجواب ما زال قضية مطروحة : هل كانوا يجتمعون في وقت واحد في بيوت مختلفة ام كانوا يجتمعون سوية ؟ نحن نتمكن ان نفترض على اساس عدد ٤٦ ، وبينفس الترجيح ، ان المؤمنين كانوا

١ - ان صيغة الجميع Kat'ikous « Kat'οίκους » تستعمل فقط في الخطوطBezac Cantabriensis .

يجتمعون كلهم وسوية في بيوت متعددة لاتمام سر الشكر او انهم كانوا يجتمعون في جماعات متفرقة . ولكن اذا ما قدمت الادلة الاخرى التي نجدها عند لوقا في نفس الاصحاح تبين ان الافتراض الثاني هو اكثـر من ان يكون فيه شبهة . واذا كان الامر كذلك فبأيـة صورة اذن كان المؤمنون يواطـبون على تعلم الرسـل والشرـكة وكسـر الخـبـز والصلـوات ( اعـما ٢ : ٤٢ ) ؟ وماذا يعني عـدد ٤٤ من نفس الاصـحـاح « وـكان جـمـيع المؤـمنـين مـعـاً وـكان كـلـ شيء مشـترـكاً فـيـا بـيـنـهـم » ؟ نـجـدـ فيـ النـصـ اليـونـانيـ العـبـارـةـ التيـ سـبـقـ فـتـعـرـفـناـ عـلـيـهـاـ Epi τδ αὐτδ to afto» وهي تعـنيـ فيـ اـغـلـبـ الـاحـيـانـ عـنـدـ لـوـقاـ إـمـاـ الـاجـتـمـاعـ الـافـخـارـيـسـيـ وـاماـ الـكـنـيـسـةـ بـعـنـىـ اـجـتـمـاعـ ،ـ وـبـالـوـاقـعـ تـعـنىـ الشـيـءـ نـفـسـهـ ،ـ وـذـلـكـ لـانـ الـكـنـيـسـةـ لـمـ تـوـجـدـ بـدـوـنـ اـجـتـمـاعـ اـفـخـارـيـسـيـ وـبـالـعـكـسـ .ـ اـنـ هـذـاـ عـدـدـ يـقـرـأـ بـصـورـةـ مـخـتـلـفـةـ فيـ اـفـضـلـ النـصـوـصـ :ـ «ـ وـكانـ جـمـيعـ المؤـمنـينـ مـعـاً Epi τδ αὐτδ » وـكانـ كـلـ شيءـ مشـترـكاً فـيـا بـيـنـهـمـ » .ـ يـكـنـ هـذـاـ القـوـلـ انـ يـعـنـيـ انـ كـلـ شيءـ كـانـ مشـترـكاً فـيـا بـيـنـهـمـ فيـ الـاجـتـمـاعـ الـافـخـارـيـسـيـ ،ـ فـلـمـ يـكـنـ كـلـ وـاحـدـ يـأـكـلـ وـحدـهـ كـلـ مـاـ يـحـمـلـ اوـ يـعـنـيـ انـ كـلـ شيءـ كـانـ مشـترـكاً فيـ الـكـنـيـسـةـ بـيـنـ المؤـمنـينـ .ـ اـنـنـاـ نـقـبـلـ تـامـاًـ كـلـاـ مـنـ الـعـنـدـيـنـ .ـ اـمـاـ الـعـنـىـ الثـانـيـ فـيـبـدـوـ وـكـانـ عـدـدـ ٤٤ـ يـمـلـيـهـ عـلـيـنـاـ ،ـ حـيـثـ يـسـتـدـلـ انـ المؤـمنـينـ كـانـوـاـ يـبـيـعـونـ مـقـتـنـيـاتـهـمـ وـيـوزـعـونـهـاـ عـلـىـ الـمـحـتـاجـينـ .ـ وـمـعـ هـذـاـ كـلـهـ فـيـظـهـرـ لـيـ شـخـصـيـاًـ اـنـ الـعـنـىـ الـاـولـ هـوـ اـكـثـرـ تـرجـيـحاًـ .ـ وـاـذـلـمـ يـكـنـ عـدـدـ ٤٥ـ قدـ اـقـحـمـ فيـ النـصـ<sup>١</sup> فـهـوـ يـوـضـحـ لـمـاـذـاـ كـانـ كـلـ شيءـ عـنـدـ المؤـمنـينـ مشـترـكاًـ فـيـاـ بـيـنـهـمـ فيـ الـاجـتـمـاعـ

---

١ - انظر مقال P. Benoit في مجموعة « Sommai res » des Actes Aux sources de la tradition chrétienne ». Paris-Newchâtel. 1950 .

الافخاريستي . وعلى كل حال فلفظة **Epi to** **επέτοιμος** تبدو باكثر وضوح في العدد ٤٧ : « وكان الرب كل يوم يزيد الى الكنيسة عدد المخلصين ». يوجد في النص النقدي **επέτοιμος** عوضاً عن « الى الكنيسة ». وهو ما يمكن ترجمته « الى الاجتماع الافخارستي ». وهكذا نرى ان لوقا يدل دلالة واضحة على وحدة الاجتماع الافخارستي في نفس الاصحاح حيث يستخدم عدد ٤٦ كحججة رئيسية لصالح المجتمعات الافخارستية المتعددة في اورشليم .

فماذا يمكن ان تعني **Kat'ikon** **κατίκον** (في البيت) في عدد ٤٦ ؟ اذا كانت **Epi** **επέτοιμος** (معاً) واحدة فعندئذ يكون المعنى الوحيد لعدد ٤٦ كما يلي : كان المسيحيون يجتمعون كل يوم في الهيكل وكأنوا يجتمعون كلهم معاً في البيت لأجل كسر الخبز . اما ما يتعلق بعبارة **Kat'ikon** **κατίκον** نفسها فانه من الاكثر ايجابية ان تترجم : في البيوت . و اذا ما اعرضنا انتباها الى تركيب العدد نفسه كشفنا بسهولة عن بعض الموازاة : ان المجتمعات اليومية في هيكل اورشليم لاجل الصلاة تقابلها اجتماعات المسيحيين في البيت او في البيوت لاجل كسر الخبز . فالتأكيد في هذه الآية يقع على عدم وجود مكان خاص واحد للمسيحيين لاقامة « المائدة السيدية » كما انه لم يكن لديهم بيت منتخب خاص . وليس من الضرورة الذهاب الى انهم كانوا يبدلون المكان في كل اجتماع ولكن بما انهم كانوا مرتبطين باحوال طارئة خارجية وداخلية فقد كانوا يجتمعون بحسب الظاهر في بيت واحد ، لم يكن لديهم بثابة هيكل .

أمن الممكن بالواقع ان يكون للكنيسة الاورشليمية اجتماع افخارستي واحد فحسب ؟ نحن لا نعلم كم عضواً كانت تعداد كنيسة

اورشليم . فالمعلومات التي حصل عليها لوقا لا تتعلق بعدد اعضاء الكنيسة نفسها ولكن بعدد من لبوا دعوة اليمان . فأكثريه هؤلاء المؤمنين الاول لم تبق في اورشليم . كان يجتمع في عيد الفصح في اورشليم عدد هائل من اليهود من فلسطين ومن سائر انحاء الامبراطورية الرومانية ، وعند انتهاء العيد كانوا يرجعون الى بيوتهم . واكثريه المسيحيين كانت تتالف من مثل هؤلاء الغرباء . وقد أصبحوا على الارجح اول مبشرين خارج حدود اورشليم فأسسوا الكنائس ليس في انحاء اليهودية المتعددة فحسب بل وفي رومية ايضاً . وعليه فلدينا كل الاسس لنفترض بأن عدد اعضاء الكنيسة الاورشليمية لا يتفق ومعطيات لوقا العددية . وليس بالامكان ان نفترض اي تقدير يرضي حتى ولا تقريري لعدد اعضائها . وعلى كل الاحوال فلم يكونوا بهذا المقدار عديدين حتى لا يتمكنوا من الاجتماع في مكان واحد ، يدلنا على ذلك ما نسميه « بمجمع اورشليم » فاذا كان جميع المؤمنين قد تمكروا ان يجتمعوا سوية حل ما اثاره بولس الرسول من قضية تتعلق بشارته في الاوساط الوثنية ، فليس ثمة اي اساس لنفي امكانية اجتماعهم كلهم سوية لاجل سر الشكر . وانا احب ان انبه مرة اخرى الى ان مفهوم « الكل » هو مثالي ، ولذلك لا يتفق دائماً ووضع الاشياء الواقعي . و اذا وضعنا جانبياً المرضى والمتغيبين عن اورشليم وجدنا انه كان في عداد اعضاء الكنيسة الاورشليمية ، على الاقل في الزمن الاول ، اشخاص غير عائشين في اورشليم نفسها ، ولم يكونوا يتمكنون من الحضور في كل اجتماع افخاريستي . ويجب ان لا يغرب عن ذهتنا ان المفهوم الروماني واليوناني او الفلسطيني « للبيت » هو ابعد من ان يتفق ومفهومنا الحاضر . فكل اجتماع افخاريستي فلسطيني كان يحوي مثاليآ كل اعضائه ، واما واقعياً فان هذا المفهوم المثالي كان يعتبر عن نفسه بعدم وجود اجتماعات افخاريستية الى جانب الاجتماع الافخارستي الواحد . والمعلومات التي وجدناها عند

لوقا لا تناقض هذا المفهوم للحياة المسيحية الأولى . ولا شك ان مبدأ الاكليسيولوجية عبر عن نفسه للمرة الأولى في اورشليم ، ان ليس في الكنيسة المحلية سوى اجتماع افخاريستي واحد .

٣ - ان الكنائس وجدت في دمشق وانطاكية وظاهرياً في رومية وعلى الارجح في اماكن غيرها قبل ظهور بولس الرسول كرسول للامم<sup>١</sup> . ولا ريب في انها كانت تتالف من البدء من اليهود الذين اعتنقا المسيحية على طراز الكنيسة الاورشليمية . فهل كان باستطاعة بولس الرسول ان يغير مبدأ الاجتماع الافخارستي الواحد في الكنيسة المحلية عندما كان يقوم بنشاطه الرسولي ؟ ان بولس نشا على ايامه بالتقليد وبقي رجل التقليد ليس بكونه يهودياً ولكن بصيرورته مسيحيًا . هذا هو الجواب التمهيدي على ذلك السؤال . اما الجواب النهائي فيتعلق بشرح عبارة بولس *αὐτὸν ἐκκλησίαν εἶπεν* « I Kat ' ikon ' H Kat ' oikov » Ekklesia فهل يمكنه ترجمة هذه العبارة « الكنيسة البيتية » مريداً بذلك الكنيسة المؤسسة في بيت خاص لأجل جماعة صغيرة من المسيحيين ، وتحت تأثير اي سبب كان يمكن ان يظهر مثل هذه الانفصالية ؟ .. و اذا امكن ان يظهر بين المسيحيين المنقسمين ميل لتأسيس كنائس في البيوت منفصلة فهل كان باستطاعة بولس ان يعطيها موافقته ؟ .. ان انسلاخ « بيت » واحد عن بقية المؤمنين كان يعتبر تحطيمًا للمحبة التي ضمت الكل الى واحد حتى بدا الكل « واحداً » في المسيح يسوع ( غالا : ٢٨ ) .

و اذا كان بولس قد قاوم انقسام الكنيسة الاورشليمية الى اجزاء

١ - لا توجد لدينا معطيات ايجابية لنقول انه كان في البداء مسيحيون في دمشق او في رومية وانه لم يكن فيها « كنيسة » .

منفصلة، و اذا كان قد حاول ليوحد جماعات كنيسة رومية المنقسمة ، هذه الجماعات التي لم تخرج عن حدود الاجتماع الافخارستي الواحد ، فكيف كان يستطيع اذن ان يسكت عن وجود اجتماعات بيتية في الكنيسة المحلية الواحدة الى جانب الاجتماع الافخارستي الرئيسي ؟ انه لتناقض واضح اذا ما قيس بlahوت بولس الرسول في الكنيسة كجسد المسيح . ان الاجتماعات الافخارستية في رأيه وفي رأي كاتب اعمال الرسل اجتماع الجميع معًا الى واحد *Epi to afto* عبارة «**الكنيسة البيتية** » ، تحوي في ذاتها ليس تضاربًا داخليًا عميقًا فيحسب بل وتشوّهًا لطبيعة الكنيسة والمجتمع الافخارستي .

وهذا التردد يزول اذا رفضنا الترجمة الاعتيادية لـ «**الكنيسة البيتية** ». فالعبارة نفسها بنفسها الاصلی لا تجيز لنا مثل هذه الترجمة ولقد سبق فالتقينا في اعمال الرسل بعبارة *Kat' ikon* «**Kat' oikov** » في البيت » فهل من الصواب ان نفسر هذه العبارة بالمعنى الذي فسرناها به : في البيت ؟ .. فبموجب هذا التفسير نرى ان *kat' ikon Ekklesia* لا تعني الكنيسة البيتية ولكن الكنيسة المجتمعة في البيت . لقد كان المؤمنون يجتمعون علانية وبحريّة في السنين الاولى من وجود الكنيسة خارج بلاد فلسطين وكان باستطاعتهم ان يكون لديهم مكان دائم للجتماع كما كان يستطيع بعض المؤمنين ان يقدموا بيوتهم للجتماع و كان هذا العمل خدمة لها قيمتها بين المؤمنين ، ومع ذلك فقد كان يعد شرفًا للذين تجتمع الكنيسة في بيوتهم . فاكيلًا وبرسكيلا اخذوا على عاتقهما مثل هذه الخدمة ومع ذلك لم يحاولا ان يؤسسَا كنيسة منفصلة . وعندما سلم بولس على اكيلًا وبرسكيلا كان يسلم ايضاً على الكنيسة الملتئمة في بيتها ، وسلم عليهما كمدبرى البيت الذي يجتمع فيه المسيحيون ، وبالتالي كمدبرى الكنيسة

ومضيفيها الى حد ما . ان بولس الرسول نفسه يشهد مباشرة على وجود مثل هذا النوع من المضيفين في الكنيسة فهو يقول : « يسلم عليكم غايوس المضيف لي وللكنيسة كلها » ( رو : ١٦ : ٢٣ ) .

كان غايوس مضيف بولس الرسول اي ان بولس الرسول الذي عمد غايوس عاش في بيته مدة وجوده للمرة الثانية في كورنثية ( ١ كو : ١٤ ) فبأي معنى اذن دعا بولس الرسول غايوس مضيف ( الكنيسة كلها ) ؟ فاذا كان يريد ان يوجه الانتباه الى النعمت في كلمة الكنيسة كلها « Olis ॥٥٧٦ » فمن الصعب ان نشك بأن الكلام يتناول اجتماعات الكنيسة كلها تلك الاجتماعات التي كانت تجري في بيت غايوس . فغايوس هو « المعتمي » بالكنيسة الكورنثية ، اي ان في بيته كانت تقام الاجتماعات الافخارистية . و اذا كان المسيحيون يستطيعون ان يجتمعوا في بيت غايوس فلماذا لا يتمكن اذن مسيحيو افسس من الاجتماع في بيت اكيلا وبر سكيليا ؟ . ولما كان غايوس مضيف كنيسة كورنثية ، كذلك كان اكيلا بالنسبة الى كنيسة افسس . وهذا ما تعنيه عبارة **κατ' οἶκον Ἑκκλησία** ( الكنيسة في البيت ) في الرسائل الى الكورنثيين والى فيليمون . وهكذا نتوصل اخيراً الى النتيجة بأن الكنيسة البيتية **κατ' οἶκον Ἑκκλησία** في الاجتماع الى الملتئمة في الافخارستي في بيت او لئك الاشخاص الذين كانوا يقدمون بيوتهم لاجل حاجة الكنيسة .

« ان الكنائس البيتية » لم تكن موجودة في عصر الرسل . فهذه اسطورة تقوية فالاقوى ، كما يحدث غالباً ، ليست دائماً محك الصحة العقائدية . وكما بينت اعلاه فإن وجود « الكنائس البيتية » يمكن ان يكون مضاداً لطبيعة الاجتماع الافخارستي الذي كان اجتماع الكل

حول واحد . ومن يدافع عن وجود الكنائس في البيوت « في العصر الرسولي عليه ان يفكر بايصالح هذا الواقع وهو ان الكتابات اللاحقة لا تذكر شيئاً عنها . فالكنائس الاولى البيتية ظهرت على ما يبدو في العصر النيقاوي والسلطة الكنسية عارضت بحزم منذ الابتداء اقام الافخاريستيا فيها . قانون مجمع اللاذقية الثامن والخمسون يحرم اقام الذبيحة السرية في البيوت .

و اذا اعتبرنا ان قانون مجمع ( سنة ٦٩٢ ) الواحد والثلاثين سمح بامكانية اقامه الافخاريستيا في الكنائس البيتية باذن من الاسقف ، فان ظهور هذه العادة يجب ان يعود الى منتصف القرن السابع وابتدائه و اذا كان ثمة كنائس بيتية في عصر الرسل فلا يفهم لماذا قاومت السلطة الكنسية العادة الرسولية المزعومة .

٤ - واذا قبلنا بوجود بعض الاجتماعات الافخاريستية في العصر الرسولي فان تفتح البناء الكensi يأخذ صفة تكاد تكون متناقضة ، علينا عندئذ ان نعترف بأنه كان يجري منذ الابتداء بعض الاجتماعات الافخاريستية في الكنيسة المحلية ، وبعد ذلك قام فيها اجتماع افخاريستي واحد الذي بدوره تجزأ ثانية الى عدة اجتماعات افخاريستية . ان وجود مرحلة متوسطة للدلالة على التفتح التاريخي في القرن الثاني لا يقبل الجدل مطلقاً . لقد اوضحت سابقاً انه كان اجتماع افخاريستي واحد في رومية في عصر يوستينيوس الشهيد . اما في عصر اغناطيوس المتتوشح بالله فقد كان الاسقف وحده يتمكن ان يتم افخاريستيا في انطاكيه ، وبالتالي ففي الكنيسة الانطاكيه لم يكن سوى اجتماع افخاريستي واحد بالرغم من وجود ميل انفصالية فيها . ان التناقض في تفتح بناء الكنيسة المزعوم يُستخلص من ان الكنيسة المحلية تقبل على اجتماع افخاريستي واحد في وقت كان فيه تكون الكنائس المحلية العددية

يُثم بسرعة فائقة، لقد كان الوقت غير مناسب تماماً للانتقال إلى الاجتماع الافتخاريستي الواحد وخصوصاً لأن ذلك الوقت وقع في عصر الاضطهادات مما دعا المسيحيين أن يجتمعوا سرياً، وكانت المجتمعات الكبيرة تستطيع إلى حد ما وبصعوبة كلية أن تفلت من رقابة السياسة الرومانية.

ونحن نتمكن أن نسوق أيضاً شاهداً آخر للدلالة على وجود اجتماع افتخاريستي واحد في كنيسة رومية. وهو ما يسمى باختصار الممارسة الليتورجية. فلدينا معلومات محددة تماماً من القرون الخمسة الأولى، وأعني ابتداء من الوقت الذي وجد فيه في كنيسة رومية إلى جانب الاجتماع الأسقفي الرئيسي مراكز خدمية ملحقة، كان يقوم فيها بخدمة الذبيحة الألهية كهنة. وهذا العرف تلخص في ما يلي :

ان اسقف مدينة رومية كان يرسل إلى كل اساقفة المدن أجزاء من الحمل المقدس بعد تقديس القرابين وكان كهنة هؤلاء الاساقفة يضيوفون هذه الأجزاء إلى القرابين المقدمة عند اتمام الذبيحة الألهية. ان عادة التخمير في شكلها هذا يمثل بنفسه المرحلة الثانية في ممارسة كنيسة رومية للخدمة الليتورجية، ولكن مع تضخم كنيسة رومية العدد واستبداد الاضطهادات ظهرت في هذه الكنيسة بالإضافة إلى الاجتماع الأسقفي، مراكز خدمة ملحقة ضئيلة كانت يجري فيها «السيناكس» *Synaxis* من قداسنا الألهي وكان الكهنة ينالون المؤمنين الذين اشتركوا فيه، القرابين التي أرسلها الأسقف. كل هذا يدل على أن كنيسة رومية، المحافظة جداً تمسكت بشدة بمارسة الاجتماع الافتخاريستي الواحد. فلو كان منذ الابتداء عدة اجتماعات افتخاريستية في كنيسة رومية لاصبح غير معقول مثل هذا الاستعمال ولما تكاثر عدد مراكز الخدمة الألهية.

اصبح بالواقع غير ممكن ان يرسل اسقف مدينة رومية القرابين للمناولة الى مراكز الخدمة الالهية الملحقه . وعادة التخمير تشهد بان كنيسة رومية خلافاً للواقع العملي ، كانت تعتبر ان الاجتماع الاسقفي هو بثابة اجتماعها الافخاريسطي الواحد . اما مراكز الخدمة الالهية الملحقه فهي بثابة توسيع وانتشار له .

و اذا ما رجعنا الى السؤال المطروح اعلاه : ما اذا كنا عثنا على وجود مبدأ وحدة الاجتماع الافخاريسطي في حياة العصر الرسولي فاننا نستطيع ان نعطي على ذلك حلاً ايجابياً باكثر ما يكون من التأكيد . فليس في كتابات العهد الجديد اي دليل باستطاعته ان يشهد على العكس من ذلك ، اضف الى ذلك ان الادراك الكنسي في القرن الخامس وعلى الاقل في كنيسة رومية ، كان يعتبر ان للكنيسة المحلية اجتماعاً افخاريسطياً واحداً . اما الافخاريسطيا الواحدة في الكنيسة المحلية فكان يقوم بها المتقدم اي الاسقف .

ان كنيسة الله في المسيح هي واحدة و تظهر وحدتها في الحياة العملية بتنوع الكنائس المحلية . و مبدأ الوحدة في كل كنيسة محلية هو المبدأ العملي لوحدة كنيسة الله ، اي ان كنيسة الله في المسيح على حد تعبير الرسول ، تعيش او توجد بملائحتها في كل كنيسة محلية . و عليه فان تعدد الكنائس المحلية في الواقع العملي يحفظ وحدة كنيسة الله في المسيح . و وحدة هذه تتضح في تعدد الكنائس المحلية . و على اساس مبدأ الاكلسيولوجية الافخاريسطية هذا تقوم وحدة الاجتماع الافخاريسطي للكنيسة المحلية .

## الفصل الثاني

### المشاركة في الخدمة

## الاسقف كمئسم سر الشكر

ان اقدم ما كتب عن الاجتماع الافخاريستي نجده في دفاع يوستينوس الاول الذي يبتدئ فيصف سر الشرفة ساعة العشاء فيقول: « وبعد ان يغسل المؤمن حديثاً على هذه الصورة ويعطي موافقته نقوده الى الاجتماع العام امام المدعون اخوة لكي تقام بكل حرارة الصلوات العامة . . . وبعد انتهاء الصلوات، نسلم على بعضنا البعض بقبة ثم يحمل الخبز والكأس والماء والثمر الى الاخ المتقدم : وبعد ان يأخذ هذه يجد الله اب الجميع ويشكّره باسم الآب والابن والروح القدس ، ويشكّره مطولاً على تنازله لهذا العمل ، وفي الوقت الذي يقوم فيه بالصلوات والشكر يحيي كل الشعب الحاضر: آمين. وهذه تعني كما في اللغة العبرية: ليكن . وبعد شكر المتقدم وجواب كل الشعب يدعوا الشامسة وكل فرد من الحاضرين ان يشارك بالخبز والثمر والماء التي تم الشكر عليها ،

ويحملون القرابين الى الذين تختلفوا عن الحضور »<sup>١</sup>. وفي مكان آخر يصور لنا يوستينيوس القدس الالهي في يوم الاحد وهو ما يطابق تماماً القدس يوم العياد: « في اليوم المدعوه يوم الشمس يجري عندنا اجتماع العائشين في المدن والقرى في مكان واحد. ويقرأون من اقوال الرسل او من كتابات الانبياء بقدر ما يسمح الوقت ولما ينتهي القارئ يعطي الرئيس الارشادات بواسطة الكلمة والنصائح لمحافظة على تلك الاشياء الرائعة. وبعد ذلك نهض كلنا سوية ونؤدي الصلاة ولما تنتهي الصلاة 'يجلب الخبز والثمر والماء ويتوالى الرئيس من الصلاة والشكر ايضاً ما يستطيع . اما الشعب فيعلن موافقته بكلمة آمين. ويجري عند ذلك توزيع المقدمات التي تلي فوقها الشكر . اما الغائبون فالشمامسة يوصلونها لهم »<sup>٢</sup> . ان المعتمد حديثاً يدخلونه بوجب شهادة يوستينيوس الى المكان الذي يجتمع فيه الاخوة وكان مكان الاجتماع لهذا بيته في رومية يجتمع فيه الكل الى واحد ( Domus ) .

فالبيت لم يكن في القديم مكان سكن جميع اعضاء العائلة الواحدة فقط بل مكان العبادة ايضاً ( Tablinum ) حيث كان يجلس رب العائلة « Paterfamilias » اصبح يشغل رئيس الكنيسة والى جانبيه، حيث كانت امكانة ، اكثر اعضاء البيت شيخوخة ، ظهرت كراسى الكهنة واعضاء الكنيسة فكانوا متفرقين في الاماكن الخاصة بباقي اعضاء العائلة . واما المعبد جديداً فكان يقاد للمرة الاولى الى الاجتماع الافخارистي ليشتراك مع الجميع « بمائدة الرب » بينما كان يبعد قبلاً عن اجتماع المؤمنين ، لانه كان يعد موعظاً ، بعد قراءة اقوال الرسل

١ - الشهيد يوستينيوس ، الدفاع الاول ، فصل ٦٥ ، الترجمة الروسية ، موسكو ١٨٦٤ ، صفحة ١٠٦ .

٢ - الشهيد يوستينيوس ، الدفاع الاول ، فصل ٦٧ ، الترجمة الروسية ، صفحة ١٠٨ - ١٠٧ .

وكتابات الانبياء وموعظة رئيس الكنسية . ان صلاة الكنسية العامة كانت الصلاة الى الآب « في المسيح » وليشترك فيها الموعوظ مع جميع المؤمنين كان عليه ان يعتمد بالمسيح « ويلبسه » ، اذ ان الشخص الذي يشترك في الاجتماع الافخاريستي يمكنه وحده ان يشترك في صلاة الكنسية والعكس صحيح . فاشترك المؤمن الجديد في الصلاة الكنسية كان اذن اول اقرار احتفالي بانه اصبح « كاهناً او ملكاً » لاله . وهي بوليتوس الرومي ، الذي سمعه اليه ، يشير على اثر مسحة المiron فيقول : « فقط بعد هذا يصلى المعتمدون جديداً مع كل الشعب ولم يكونوا يصلون قبلًا مع المؤمنين الى ان حصلوا على المعمودية »<sup>١</sup> . وبعد الانتهاء من الصلاة « وقبلة السلام » ، التي هي بالنسبة الى المعتمد الجديد اعتراف الكنسية بأنه مؤهل لأن يساهم في الافخاريستية ، يحملون الى المترئس الخبز والخمر الممزوج بالماء ويتوسلون الرئيس صلاة « الشكر عليها » . أما الشعب فيتيم هذه الصلاة بلفظة « آمين » ويحرى بعد ذلك توزيع القربان بواسطة الشمامسة .

لا شك بأن « الرئيس » الذي يتكلم عنه يوستينوس هو الاسقف ، وان لم يكن يدعى بهذا الاسم في كنيسة رومية في زمن يوستينوس ، وهو رئيس لأنه يرئس كل شعب الله الملائم لخدمة الله . وهو رئيس ايضاً لأنه يشغل في الاجتماع الافخاريستي ذلك المكان الذي سغله المسيح في العشاء السري ويقوم كرئيس الكهنة بالخدمة الالهية بمساعدة الشمامسة الذين يحملون إليه الخبز والخمر والذين يوزعون القربان بعد « صلاة الشكر » او فقط الكأس على كافة المؤمنين المساهمين في الاجتماع ، ويحملونه إلى الذين لم يتمكنوا من المجيء إليه . ونحن قد نعجب قليلاً فنقول أين إذن الكهنة ؟ ان يوستينوس لا يكتفي بعدم الاشارة الى انهم يشاركون في الخدمة

١ - هيبوليتوس اسقف رومية ، « التقليد الرسولي » ، ١٢ .

مع الرئيس ولكنه لا يذكرهم البتة . فلماذا سكت يوستينوس اذن عنهم ؟ لأنهم لم يكونوا بعد في كنيسة رومية في زمن يوستينوس ؟

لترك كنيسة رومية الى بعض الوقت ولنتوجه الى الشرق ، الى كنيسة اخرى كان لها الاهمية الاولى بعد كنيسة رومية ، يشهد عليها اغناطيوس المتواوح بالله في بداية القرن الثاني . لا يتطرق اليانا الشك بأن الكهنة كانوا في ذلك الحين في كنيسة انطاكيه لان اغناطيوس يتكلم عن رهط الكهنة في كل رسالة من رسائله تقريرياً مسمياً اياه بجمع «الكنيسة» . لقد وجدوا ولم يمكنهم الا ان يوجدوا ، فاغناطيوس يقول بأن الكنيسة هي حيث يوجد مع الاسقف كهنة وشمامسة ، ولكن عندما يذكر اغناطيوس الاجتماع الافخاريسي لا يتكلم كما رأينا سابقاً ، الا عن الاسقف . فالذبيحة الفعلية اذن هي تلك التي يتمتها الاسقف او من ينتدبه الاسقف . الشمامسة هم مساهمو الاسقف في الخدمة وفي الحقل الليتورجي وليس في الخدمة الادارية التي يقوم بها الاسقف مع مجتمعه . فالرئيس عند يوستينوس والاسقف عند اغناطيوس هو متمم سر الشكر بمساعدة الشمامسة . ان صورة الاجتماع الافخاريسي ، بالقدر الذي نتمكن فيه ان نعيدها بالاستناد الى رسائل اغناطيوس ، تنطبق تماماً الانطباق على وصف يوستينوس لها . واذا كان يوجد كهنة في انطاكيه منذ بداية القرن الثاني فيجب ان يكونوا في كنيسة رومية في منتصف القرن الثاني . ونحن لا ننسى بأن يوستينوس كان شرقى الاصل وليس غربى . وعليه فقد كان يعرف ليس اعمال الكنيسة الغربية فحسب ، بل واعمال الشرقية ايضاً . فلا يمكننا اذن ان نفترض ان الكهنة الذين وجدوا منذ ابتداء القرن الثاني قد اختفوا في منتصف القرن نفسه .

لندع ثانية الى كنيسة رومية ولنحاول ان نجد فيها ادلة يمكنها ان تثبت افتراضنا ان رسالة اقليمي اسقف رومية المكتوبة في آخر القرن الاول

تعطينا جواباً قطعياً على وجود كهنة في كنيسة رومية وكنيسة كورنثية في ذلك الوقت . فهو عندما يقول بان النظام يجب ان يسود الكنيسة يستند الى بناء العهد القديم المقدس . فبنيان الهيكل في العهد القديم كان برأيه صورة لبنيان العهد الجديد بالرغم من انه لم يفكر قط ان يضع احدهما بمنزلة الاخر . وهو على الاقل بدون ان يريد وجعل الطبيعة وضع الفحوى الكنسي في عبارات العهد القديم . فقد كتب اقليمس بان رئيس الكهنة اعطي خدمات كهنوتية خاصة والكهنة اعطوا مكاناً معروفاً خاصاً . واما اللاويون فقد حددت لهم خدمات خاصة ايضاً **I die diakonie**<sup>١</sup> وهكذا فرئيس الكهنة في العهد القديم كان صورة للاسقف بحسب منطق اقليمس ، والكهنة يقابلهم القسسين واللاويون الشمامسة . على اساس هذه الكلمات يمكننا ان نحدد خدمة الاسقف والكهنة والشمامسة . فالاسقف يتميز باقامة الليتورجيا ، اي القدس الاهي . وذلك لأن الكنيسة لم تعرف في زمن يوستينيوس ليتورجيا اخرى غير الافخاريستيا<sup>٢</sup> . وكان الكهنة يشغلون امكانية معينة في الاجتماع الافخارستي . اما الشمامسة فكانوا يقومون بخدمة معينة ايضاً **Diakonia** « . ان لفظة دياكونية هذه لها علاقة مباشرة بخدمة الاجتماع الافخارستي . وقد اقيم سبعة شمامسة لاجل الخدمة ( اعماء ٦ : ١ - ٦ ) . وكان المسيح وسط تلاميذه في العشاء السري كخادم : « فمن ترى الاكبر المتكئ ام الذي يخدم ؟ أليس المتكئ ؟ ومع ذلك فـأنا في وسطكم كالذى يخدم » ( لو ٢٢ : ٢٧ ) . ونحن اذا ما تذكروا كلمة اغناطيوس المتوشح بالله القائلة بان الشمامسة يتممون خدمة المسيح اتضحت لنا بماذا تنحصر

١ - رسالته : ٤٠ : ٥ .

٢ - ان كلمة فعل ليتورغو Litourgo اليوناني والاسم المشتق منه : ليتورجيا ، يعني في الترجمة السبعينية الخدمة الكهنوتية المتعلقة رأساً بتقدمة النبائح في الهيكل .

خدمتهم بالدرجة الاولى : فقد كانوا في الاجتماع الافخاريستي كخدمة الاسقف وحده القائم بالسر الاهلي في اواخر القرن الاول في رومية وفي كنائس اخرى . وكان الشمامسة مساعديه والكهنة كانوا يتربعون في اماكن شرفية خاصة ولكنهم لم يكونوا يساهمون مع الاسقف في الخدمة المساهمة التي نلصقها بهم الآن .

بعد ما تقدم نرى ان اعجبانا قد زال من سكوت يوستينوس عن ذكر القسس وحلت المشكلة الى حد ما . فهو لم يذكرهم لأنهم لم يكونوا متممین لسر الشكر بالمعنى الذي كان الاسقف يتممه به ، وعليه فعندما وصف ترتيب الافخاريستيا لم يكن بحاجة خاصة لذكرهم .

وحيثتنا تزول نهائياً اذا ما رجعنا الى هيبوليتوس اسقف رومية في كتابه « التقليد الرسولي » الذي يحوي ما كانت تقوم به كنيسة رومية في نهاية القرن الثاني وما دخل مع الارجح في اسسها منذ زمن قبل هذا التاريخ بكثير ، فيكون لنا من ذلك نص ليتورجي اقدم بكثير مما وجدناه الى الان . فنحن نجد عنده كما وجدنا عند يوستينوس وصفين للافخاريستيا : الواحد يتعلق بتنصيب الاسقف والثاني بعلاقته مع العمودية . وفي كلا الوصفين يتضح لنا ان الاسقف هو القائم بالافخاريستيا . وايبولييت يدلنا على انه بعد تنصيب الاسقف يقدم الشمامسة له الخبز والخمر ليتلو عليهما « الصلاة الشكرية » <sup>١</sup> .

١ - التقليد الرسولي <sup>٤</sup> وهنا ايضاً يتحدث عن انه عند حمل الشمامسة (لبروسفورا) **Oblatio** <sup>٢</sup> يرفع الاسقف يديه مع كل القسس . ان وضع ايدي القسس هذا كما انه في وضع ايديهم عند شرطونية الاسقف لا يعني انه يجب ان نرى في ذلك المساهمة الفعلية في الخدمة . وهذا ما ينفيه بصورة مطلقة الدوم (B.Botte) في ترجمته « التقليد الرسولي » صفحة ٣٠ ان وضع القسس ايديهم يعني ان الكنيسة موافقة على التنصيب وشهادتها بان المشرطن مستحق ومثلثها قبلة السلام التي يقدمها كل واحد للاسقف . اما في الذبيحة الاهلية ساعة العمودية فلسنا نجد اي كلام عن وضع الاسقف او الكهنة ايديهم على القرابين . ولو كانت « فكرة المساهمة الفعلية في الخدمة » بمعناها معلومة في كنيسة رومية لعبت عن نفسها بدون ادنى شك في « مساهمة » الاساقفة المشتركون في التنصيب .

اما الشهادات فيساهم مساهمة اوسع من تلك التي كان يقوم بها في عصر يوستينوس : فهو يتلو الاعلانات مشيراً بواسطتها الى برهات خاصة من الافخاريستيا . الا ان القسس لا يتلون اية صلة حتى ولا الاعلانات لان الشهادة كانوا يوجهونها اليهم والى المؤمنين . اما الاسقف المنتخب والمنصب فيشغل في خدمته مركز رئيس الكنيسة التي اقيم عليها ، اذ يقوم بسر الشكر ل الاول مرة ، وبصفته رئيس الكنيسة فهو اول كهنةها و الاولية كهنة تقام على كونه هو وحده وحده فحسب يتم الذبيحة الالهية وليس « بالمساهمة » مع القسس . وهذا الامر شرط من الاسقف ولهذا استمدت له الموهاب الالهية في صلة التنصيب لكي « يتمكن ان يرعى الرعية المقدسة ويقوم بخدمة الكهنوت الاولى دون منازع »<sup>١</sup> .

ومن الضروري ايضاً ان نشير الى تفصيل مهم وهو : ان الاسقف المشرطن حديثاً يرأس الاجتماع الافخارستي مباشرة بعد اتمام سر الشرطونية عليه . يطلعنا هيبوليتوس على ان اساقفة الجوار المجتمعين في حفلة تنصيب الاسقف ، كانوا يساهمون في الخدمة<sup>٢</sup> ولكن لم يكن ليرئيس احد منهم الاجتماع الشكري ولم يكونوا « يشتراكون في الخدمة اشتراكاً فعلياً » مع الاسقف المشرطن . لقد كانوا يشغلون اشرف الاماكن في الاجتماع الذي كان يرأسه المشرطن الجديد لانه هو اسقف الكنيسة التي شرطن عليها وليس لهم . وعندما كان يترأس كان يرأس ايضاً اولئك الاساقفة الذين ساهموا في الشرطونية كما كان يرأس قساوسة الابرشية وحظيرته المقدسة التي اودعها الله بين يديه . ونحن لن نذهب الى القول بأن هذه الميزة ميزة « التقليد الرسولي » دون غيره ، لأن هيبوليتوس كان « رجل التقليد » ومن المشكوك فيه انه ادخل تجديداً ما الى الكنيسة .

من المؤسف ان تاريخ القرنين الاولين يحتوي على جزء بسيط من

١ - « التقليد الرسولي » ٣ .

٢ - « التقليد الرسولي » ٢ .

المعلومات المتعلقة بالحياة الـلـيـتـورـجـية ، ولـكـنـ التـفـصـيلـ الـقـيمـ يـقـدـمـهـ لـنـاـ اـفـسـافـيوـسـ . فـقـدـ كـتـبـ اـيـرـيـنـاـوـسـ اـسـقـفـ مـدـيـنـةـ لـيـونـ اـلـىـ الـبـابـاـ فـكـتـورـ ماـ يـلـيـ : عـنـدـمـاـ جـاءـ الطـوبـاـوـيـ بـولـيـكـارـبـوـسـ اـلـىـ رـوـمـيـةـ فـيـ عـهـدـ اـنـيـقـيـطـاـ لـمـ يـتـبـاحـثـاـ طـوـيـلـاـ فـيـمـاـ بـيـنـهـماـ بـخـصـوـصـ الـامـوـرـ الـاـخـرـىـ وـلـكـنـهـماـ اـتـفـقـاـ ، اـمـاـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـهـذـهـ القـضـيـةـ (ـ عـلـىـ الـارـجـحـ قـضـيـةـ تـعـيـدـ الفـصـحـ المـقـدـسـ )ـ فـانـهـماـ لـمـ يـرـيدـاـ انـ يـتـجـادـلـاـ لـانـ لـاـ انـقـيـطـاـ تـكـنـ منـ اـقـنـاعـ بـولـيـكـارـبـوـسـ منـ عـدـمـ اـتـبـاعـ ماـ كـانـ يـتـبـعـهـ دـائـمـاـ وـهـوـ الـذـيـ عـاـشـ مـعـ يـوـحـنـاـ، تـلـمـيـذـ رـبـنـاـ ، وـعـاـشـ الرـسـلـ الـاـخـرـينـ . وـلـاـ بـولـيـكـارـبـوـسـ تـكـنـ منـ اـقـنـاعـ اـنـقـيـطـاـ بـقـوـلـهـ اـنـهـ مـجـبـرـ عـلـىـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ مـاـ تـسـلـمـهـ مـنـ القـسـسـ ، وـبـالـرـغـمـ مـنـ مـوـقـفـ القـضـيـةـ هـذـهـ فـانـهـماـ كـانـاـ فـيـ عـلـاقـاتـ وـدـيـةـ مـتـبـادـلـةـ اـلـىـ حـدـ اـنـ اـنـقـيـطـاـ دـعـاـ بـولـيـكـارـبـوـسـ لـيـقـومـ بـالـذـبـيـحـةـ الـاـلهـيـةـ (ـ فـيـ كـنـيـسـتـهـ )ـ اـحـتـرـامـاـ لـهـ . وـهـكـذـاـ تـسـالـمـ الـاثـنـانـ كـاـ انـهـماـ وـجـدـاـ بـسـلـامـ مـعـ الـكـنـيـسـةـ كـلـهـاـ تـابـعـةـ تـلـكـ العـادـةـ اوـ غـيرـ تـابـعـةـ لـهـاـ<sup>١</sup>ـ . اـنـ كـلـ ذـلـكـ يـبـدـوـ لـنـاـ غـيرـ اـعـتـيـادـيـ وـلـوـ كـنـاـ نـحـنـ مـكـانـهـماـ لـاـ سـلـكـنـاسـلـوكـ اـنـقـيـطـاـ :ـ فـبـدـلـاـ مـنـ اـنـ نـدـعـوـ بـولـيـكـارـبـوـسـ لـلـقـيـامـ بـالـافـخـارـيـسـتـيـةـ اـيـ رـئـاسـةـ الـاجـتـاعـ الـافـخـارـيـسـتـيـ كـنـاـ فـرـضـنـاـ «ـ الـمـسـاـهـمـةـ الـخـدـمـيـةـ الـفـعـلـيـةـ »ـ الـمـشـتـرـكـةـ ، وـبـكـلـمـةـ اـخـرـىـ الرـئـاسـةـ الـمـشـتـرـكـةـ . اـنـ تـقـدـيمـ بـولـيـكـارـبـوـسـ اـسـقـفـ مـدـيـنـةـ اـزـمـيرـ اـلـىـ رـئـاسـةـ اـجـتـاعـ كـنـيـسـةـ رـوـمـيـةـ كـانـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ عـلـاقـاتـ الـكـنـائـسـ وـلـيـسـ عـلـىـ عـلـاقـةـ اـسـاقـفـةـ الشـخـصـيـةـ بـوـاسـطـةـ الـاشـتـراكـ فـيـ الخـدـمـةـ . اـيـ اـنـ الـافـخـارـيـسـتـيـاـ لـيـسـ عـلـاقـةـ شـخـصـيـةـ بـيـنـ هـذـاـ وـذـاكـ الـعـضـوـ مـنـ الـاعـضـاءـ بـلـ عـمـلـ كـلـ الـاعـضـاءـ الـمـجـتمـعـيـنـ مـعـاـ . كـانـ اـنـقـيـطـاـ اـسـقـفـ مـدـيـنـةـ رـوـمـيـةـ وـقـدـ بـقـيـتـ كـنـيـسـتـهـ عـنـدـمـاـ قـامـ بـولـيـكـارـبـوـسـ بـالـذـبـيـحـةـ كـاـ انـ هـذـاـلـمـ يـفـقـدـ شـيـئـاـ مـنـ اـسـقـفـيـتـهـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ اـزـمـيرـ ، وـلـكـنـهـ كـانـ وـحـدـهـ دـوـنـ اـنـقـيـطـاـ رـئـيسـ الـاجـتـاعـ الـافـخـارـيـسـتـيـ عـنـدـمـاـ كـانـ يـخـدـمـ الـذـبـيـحـةـ

١ - اـفـسـافـيوـسـ :ـ «ـ تـارـيـخـ الـكـنـيـسـةـ »ـ ،ـ الفـصـلـ ٤ـ ،ـ التـرـجـمـةـ الـرـوـسـيـةـ ،ـ الـمـجـلـدـ الـأـوـلـ ،ـ

١٨٥٨ - ٢٨٤ - ٢٨٥ .

في رومية ، اما اسقف المدينة فالارجح انه شغل مكاناً بين قساوسته .

لقد كان الكهنة يجلسون في اماكن مخصصة لهم ساعة قيام الاسقف بالذبيحة الالهية . يقول ايبروليت اسقف رومية انه كان يطلب للسماحة في الصلاة المطلوبة ساعة الشرطونية روح النعمة والمشورة لكي يكون له نصيب في القسيسية ولكي يدير شعب الله ببساطة قلب وحسن طيبة<sup>١</sup> . وكانت الكنيسة تسأل له قسمة او نصيب القسيسية ، وهذه المساهمة كان يعبر عنها بشغلها مكان **Topos** « بين القسوس . وهذا «المكان» ليس بصورة او رمز ولكنه بالفعل مكان كان يشغل كل قسيس حيث كان يجري الاجتماع الكنسي . وهذا المكان كان يقوم في « مائدة » Tablinum البيت الروماني على جانبي الاسقف ، وهو ما يتكلم عنه ايضاً اكليمييس رومية . وعليه فالقسوس مع الاسقف كانوا « اول المتكلمين » . وبما انه يشغل مكاناً في القسيسية فالقس يقام الاسقف خدمة ادارة شعب الله الذي اقيم عليه . من الملاحظ ان ايبروليت لا يقول ان المشرط في القسيسية يتم الذبيحة الالهية عند نهاية شرطونيته ولا انه « يساهم مساهمة فعلية » مع الاسقف . لقد كان يشغل في الاجتماع الاucharisticي الذي يرأسه الاسقف مكاناً بين المؤمنين قبل دخوله في درجة القسيسية اما بعد الشرطونية فكان يأخذ مكاناً بين القسوس . وليس في متناول ايدينا غير وثيقة رسمية واحدة تصور لنا الاجتماع الاucharisticي . وهذه الوثيقة بروتوكول « الحجز » على مجوهرات كنيسة وكتبها ، وقد وضعه الموظفون الرومانيون . اما تاريخه فيعود الى سنة ٣٠٣ وقد جرى الحجز في تسرت ( وهي قسطنطينية اليوم في الجزائر ) ، فكان الاسقف مع اكليروسه يجتمعون في احد البيوت خوفاً من مداهمة البوليس الروماني ويقومون بالذبيحة الالهية ، وقد اقاموا كلهم في اماكنهم كما كانوا يقيمون

---

١ - « التقليد الرسولي » ، ٨ .

ساعة اقام الذبيحة : جلس الاسقف على عرشه الذي كان يوجد في آخر الغرفة وعلى جانبيه اقام الشمامسة وعلى الكراسي من على جانبي العرش الاسقفي جلس القسوس . اما المؤمنون فلم يكونوا مدعوين لئلا يقعوا في خطر فأما كنهم كانت شاغرة . وهكذا نرى ان توزيع الاماكن في الاجتماع الافخاريسي في بداية القرن الرابع لم يكن يختلف عنه في نهاية القرن الاول .

٢ - ها نحن في القرن الرابع . فعصر الكفاح البطولي الذي ابتدأ بناهضة الامبراطورية الرومانية رسالة الثاني عشر رسولاً قد انتهى ، وابتدأ عصر جديد في تاريخ الكنيسة بعد اعتراف القيصر الروماني بها . ولم يكن هذا العصر بأخف وطأة في كثير من النواحي من العصر المنصرم . هل كان ذلك اندحاراً للدولة وللامبراطورية الرومانية؟ ان هذا السؤال خاص لا مكان له للنظر فيه الان ، ولكن مما لا شك فيه هو ان السلام الذي طال انتظار الناس له قد حمل معه تجاربه ومفسداته . فابتداء من مجمع نيقية ، الذي حضره الامبراطور الروماني ولم يكن قد تنصر بعد ، اخذت تظهر في الكنيسة تبدلات داخلية وخارجية عميقة . وفيها ما يعود الى عصر السلم في القرن الثالث . وأحد شهود هذه الانقلابات في المفهوم الكنسي وفي حياة الكنيسة العملية هو القانون الثامن عشر من قوانين مجمع نيقية الاول : « وصل الى المجمع المقدس الاعلى ان الشمامسة في بعض الامكنة والمدن يعطون ( يتناولون ) الكهنة القرابين المقدسة في الوقت الذي لا يجوز ولم تجر العادة به لكي لا يكون سلطنة من المقدمين جسد المسيح على المتناولين له . كما انه اصبح معلوماً ان بعضـاً من الشمامسة يتناولون القرابين المقدسة قبل الاساقفة . فليقطع كل من يفعل ذلك : اما الشمامسة فليلزموا حدودهم عالمين انهم خدمة للأسقف ودون القسوس مرتبة . فليقدموا الى المناولة بالترتيب الذي يلقنهم ايـاه الاسقف او

القس . لا يسمح للشمامسة ان يجلسوا وسط القسوس حتى ولا في مكان ادنى ... »<sup>١</sup> .

ان كل ما في هذا القانون يبدو لنا غير اعتيادي اذا ما نظرنا اليه من وجة نظر استعمالنا الليتورجي الحالي . ونحن لن نذهب في شرحه مذهب بعض الشراح عندما يقولون بأن مجمع نيقية رغب في أن يحد « من » وقاحة الشمامسة وعنادهم كما رغب المجمع الترولي ( ٦٩٢ ) ان يعمل بالفعل في قانونه السابع : « بما ارأينا ان الشمامسة في بعض الكنائس يديرون المهام الكنسية وان بعضاً منهم ، وقد تقادوا في الوقاحة والتعسف ، يتقدمون على الكهنة ... »<sup>٢</sup> . ان تفسير القانون الثامن عشر من قوانين مجمع نيقية الاول ( ٣٢٥ ) على ضوء قانون مجمع ترولو السابع يعني الواقع في غلطة تاريخية لا تغتفر . فعصر مجمع ترولو ما كان ليطابق قط عصر المجمع النيقاوي . وبالاضافة الى ذلك فالكلام في قانون ترولو السابع يتناول خدمة الشمامسة في ميدان الادارة الكنسية كا هو واضح من نص القانون نفسه في الوقت الذي يحدثنا قانون نيقية الثامن عشر عن مهمتهم الليتورجية بالحصر . ان « وقاحة الشمامسة وتطاولهم » في الادارة للكنيسة التي اراد المجمع ان يضع لها حدأ لم تتخلص منها الكنيسة بل قويت شوكتها الى حد كبير بعد المجمع . فالقانون اصبح حرفآ ميتاً الى ما قبل سقوط بيزنطية ، فان بعض الشمامسة كان لهم مسؤوليات عالية عند البطريرك القدس طيني وقد اطلق عليهم اسم ( ستافروفوري ) او الكراولة على حد تعبير الشارح القانوني البيزنطي الشهير بلسامون في القرن الثاني عشر ، كانوا يحتملون في الحفلات البطريركية والملكية مكاناً ليس اعلى من الاساقفة فحسب بل اعلى من المتروبوليت نفسه . اما مصير قانون نيقية الثامن عشر فمصير آخر :

١ - قانون مجمع نيقية الثامن عشر في ترجمة « كتاب القوانين » .

٢ - القانون السابع من قوانين مجمع ترولو ، في الترجمة نفسها .

فقد وضع موضع التنفيذ بكامله في الكنيسة وباستمرار . فالحديث فيه اذن لا يمكن ان يتناول « وقاحة الشمامسة وتطاولهم » بل يتناول العرف الليتورجي القديم الذي اخذ يضعف تقريرياً ابتداء من النصف الثاني للقرن الثالث ، او بالاحرى يتناول بعض التحرير الذي اعتري هذا العرف . واذا صح هذا الافتراض الاخير فالمجمع عندما اراد ان يزيل فوضى العرف الليتورجي القديم لم يزلها فحسب ولكنه اطاح بالعرف نفسه . فالمجمع يلاحظ :

١ – ان الشمامسة يتناولون الكهنة الذبيحة في بعض الاماكن ، اي يتناولونهم القرابين المقدسة .

٢ – وان بعض الشمامسة يتقدمون ايضاً الى تناول القرابين قبل الاساقفة انفسهم .

اما ما يتعلق بالنقطة الاولى فالمجتمع يشير الى انه مخالف « للقانون وللعرف » ان يتناول الشمامسة الكهنة جسد المسيح ، وذلك لأن للكهنة فقط سلطة « التقديم » او اتمام سر الشكر ، اما الشمامسة فليس لهم تلك الامكانية . وما يجب ان نلاحظه اولاً هو عدم وضوح ودقة صيغة العبادة، فنحن نعلم ان صيغة القوانين الجمعية تكتب عادة بكثير من العناء ، مما يستدعينا لنفترض ان عدم الوضوح هذا مقصود الى حد ما . ونحن لا نعلم ايضاً اي قانون كان يعني المجمع ، اي انه ليس لدينا قانون مكتوب له علاقة بالموضوع الذي يتناوله المجمع . اما ما يتعلق بالعادة فمن المعلوم ان الشمامسة لم يكونوا في غالب الاحيان يتناولون الكهنة جسد المسيح . فالمجمع على حق في ذلك . ولكن الامر يأخذ اتجاهًا مخالفًا تماماً اذا ما تناولنا الكلام عن الكأس الشكرية ، اذ نعلم من دفاع يوستينوس ان الشمامسة كانوا يتناولون القرابين الشكرية الى

جميع المساهمين في الاجتماع الأفخاريسي . والعادة التي كانت متبعة أكثـر هو ان يقدم الاسقف القرابـان المقدس والشـامسة يقدمون الكـأس . ولكن نجد عند ايـبولـيت رومـية عـرفـاً آخـر . فالـاسـقـفـ في الذـبـيـحةـ الشـكـرـيـةـ وقتـ العـهـادـ يـقـدـمـ جـسـدـ المـسـيـحـ عـنـدـ قـوـلـهـ : « الخـبـزـ السـيـاـويـ فـيـ المـسـيـحـ يـسـوـعـ » وـالـكـهـنـةـ يـقـدـمـونـ الـكـأسـ كـذـلـكـ يـفـعـلـ الشـامـسـةـ اـذـ كـانـ عـدـ الـكـهـنـةـ غـيـرـ كـافـ<sup>۱</sup> . فالـشـامـسـةـ كـانـواـ فـيـ عـصـرـ ايـبولـيتـ فـيـ روـمـيةـ مـبـعـدـينـ إـلـىـ حدـ ماـ عنـ تـوزـيعـ قـرـابـينـ الذـبـيـحةـ الشـكـرـيـةـ : اـذـ انـ تـوزـيعـ الخـبـزـ كـانـ مـنـوـطـاـ بـالـاسـقـفـ الـذـيـ كـانـ يـسـاعـدـهـ الـكـهـنـةـ . وـاـذـ كـانـ القـسـسـ يـوزـعـونـ خـبـزـ الشـكـرـ مـعـ الـاسـقـفـ فـالـشـامـسـةـ كـانـواـ يـقـدـمـونـ لـلـكـهـنـةـ عـلـىـ صـحـنـ «ـ صـيـنـيـةـ » . وـمـنـ الـمـمـكـنـ اـنـ الشـامـسـةـ كـانـواـ يـحـفـظـونـ بـتـوزـيعـ الـكـأسـ فـيـ اـمـاـكـنـ اـخـرـىـ .

بعد هذه الاـدـلـةـ يـحـبـ انـ يـكـوـنـ وـاضـحاـ لـدـيـنـاـ لـمـاـذـاـ كـانـ القـسـسـ يـتـنـاـولـونـ الـقـرـابـينـ المـقـدـسـةـ مـنـ ايـديـ الشـامـسـةـ عـلـىـ ماـ وـرـدـ فـيـ قـانـونـ الجـمـعـ الـنـيـقاـوـيـ الثـامـنـ عـشـرـ . فـقـدـ كـانـواـ يـحـلـسـونـ فـيـ اـمـاـكـنـهـمـ سـاعـةـ كـانـ يـقـومـ الـاسـقـفـ بـخـدـمـةـ الـقـدـاسـ الـاـلهـيـ . وـسـاعـةـ تـوزـيعـ الـقـرـابـينـ كـانـ الشـامـسـةـ يـقـتـرـبـونـ مـنـهـمـ حـامـلـيـنـ الـقـرـابـينـ لـهـمـ اـنـفـسـهـمـ وـلـتـوـزـعـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـيـنـ . وـلـوـ استـعـملـنـاـ تـعـبـيرـنـاـ لـقـلـنـاـ اـنـ الـاسـقـفـ الـمـتـمـ لـسـرـ الشـكـرـ كـانـ يـتـنـاـولـ اوـلـاـثـ الشـامـسـةـ الـمـسـاعـدـوـنـ وـبـعـدـهـمـ القـسـسـ .

وـهـذـاـ التـرـتـيـبـ فـيـ الـمـنـاـولـةـ يـوضـحـ لـنـاـ بـأـيـةـ صـورـةـ كـانـ الشـامـسـةـ يـتـمـكـنـونـ اـنـ «ـ يـقـدـمـواـ »ـ مـنـ الـقـرـابـينـ قـبـلـ الـاسـاقـفـةـ . فـمـنـ الـمـؤـكـدـ اـنـ الـكـلامـ لاـ يـتـنـاـولـ الـاسـقـفـ الـمـتـرـئـسـ الـاجـتـمـاعـ الـاـفـخـارـيـسـيـ وـلـكـنـ الـاسـاقـفـةـ الـمـاضـافـينـ الـذـينـ ، كـاـرـأـيـنـاـ سـابـقـاـ ، كـانـواـ يـحـلـسـونـ فـيـ الـاـمـاـكـنـ الـلـائـقـةـ بـهـمـ . مـنـ الـمـحـتمـلـ

---

۱ - التـقـلـيدـ الرـسـوـلـيـ ( ۲۳ ) .

ان العادة ثبّتت في بعض الكنائس في بداية القرن الرابع. ان الاسقف الخادم للسر كان يقدم القرابين الشكرية الى الاساقفة المضافين في الوقت الذي حفظت فيه في الكنائس الاخرى عادة حمل الشمامسة القرابين وتقديمها الى الاساقفة .

ان مجمع نيقية غير ترتيب المناولة القديم عندما اوصى ان لا يقدم الشمامسة الى القساوسة لا الخبز ولا الكأس الاهيين. وقد انطلق كالسابق من مبدأ اساسي كان الاسقف بموجبه يتم سر الشكر وحده ويُساعدُه الشمامس . وهكذا نرى ان القانون الثامن عشر هو شهادة اصيلة على ان الاسقف كان المتمم الوحيد لسر الشكر ، بالرغم من التغيرات الليتورجية ، وان آباء المجمع لم يعرفوا فقط « الاشتراك الفعلي » في الخدمة بالمعنى الذي نطلقه الان . فالمجمع اذن عندما غير ترتيب المناولة لم يفكِّر ولا بصورة من الصور ان يُسَمِّي مبدأ اقام الاسقف وحده سر الشكر .

٣ - وقد استطاع ان انهي هنا بحثي التاريخي ، لأن مهمتي لا تتحضر في الدلالة على اية صورة حدث التغيير في المبدأ الاساسي لاقام سر الشكر في الكنيسة الارثوذكسيّة ، ولكن في الدلالة على ان هذا المبدأ هو الوحيد الذي عرفته الكنيسة في السنين الاولى من تاريخها . كل منا يعرف بكل تأكيد نتيجة اطوار وتبدل مبدأ اقام الاسقف سر الشكر وحده . لقد اعتدنا بهذا المقدار على المبدأ الجديد في اقام سر الشكر حتى انه اصبح صعباً علينا ان نتصور ان الامر كان في ما مضى في الزمن غير ما هو عليه الان . ولكن لن نقترب الخطأ المؤتلف نفسه فنجعل عرفنا الليتورجي الحاضر مطلقاً . فنحن لا نستطيع ان ننكر شهادة التاريخ ، كما انه لا يمكننا ان نغيرها . ان طريقة ممارستنا « للخدمة المشتركة الفعلية » ، ساعة القيام بسر الشكر ، ليست فحسب غير اولية ، ولكنها تعرض لنا ذاتها تغيرها الجوهرى وعليه فسألقتصر على

ادلة مختصرة في الوقت وفي السبب اللذين قادا الى هذا التبدل .

نتحدث كثيراً عن نتائج تحالف الكنيسة والدولة في عصر قسطنطين ، ولكننا لا نأخذ بعين الاعتبار التأثيرات التي اتى بها هذا التحالف في حياة الكنيسة الليتورجية . ان الكنيسة المضطهدة كانت تكتفي بانتصارها الداخلي ولم يكن فيها مكان للانتصار الخارجي . فالكنيسة المجاهدة كانت الكنيسة المنتصرة وفي العصر الذي سبق عصر بجمع نيقية كان يترقب المسيحيون من وقت الى آخر حجز مقتنياتهم والاستشهاد والنفي حتى الموت ، ولكنهم كانوا يعلمون بأن لا قوة للوحش الروماني عليهم ، اذ كانوا يلاقون رب في كل اجتماع افخاريسي « تعال ايها الرب ربنا » . وكان ذلك مفتاح انتصار المسيحيين . فالمنتصرون لم يكونوا المُضطهَّدين ولكن المضطهَّدين ، لأن الاولين كان لهم قيصر ارضي اما الآخرون فلهم سيد ، كيريوس « اجلسه الله عن يمينه في السموات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وفوق كل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الآتي ايضاً . لقد اخضع كل شيء تحت قدميه ، واقامه فوق كل شيء رأساً للكنيسة » ( افسس 1 : 20 - 22 ) ، ليس في البلاط الامبراطوري البراق بحفلاته وولائه ، بل في بيوت مظلمة في اطراف المدينة النائية ، وفي الابنية نصف المظلمة هناك كان يلاقي المسيحيون سيدهم وقيصرهم الوحيد . لا حاجة للاحتفال والمرجانات البشرية امام بريق مجد المسيح المجد في الاجتماع الافخاريسي . ان الحاجة في عصر ما قبل المجمع النيقاوي لم تدع لا الى الاحتفال ولا الى الاساقفة ، لأنهم بدون الاحتفال الخارجي ، وبصفتهم مترئسين « كنيسة الله في المسيح » ، كانوا ينعمون بسلطة اعلى من اي سلطة ممكنة . ونحن نعلم من الكتابات المتعلقة بالشهداء ان سلطة الاساقفة كانت بهذا المقدار عالية حتى انها اخذت الموظفين الرومانيين . و اذا كنا نعلم من كلمات اوريجانيوس القوية المهددة بأنه كان يوجد اساقفة حاولوا

ان يساندوا « امراء هذا العصر » فقد كانوا شواذًا ، ولكنهم كانوا يحيطون انفسهم بالمهرجانات خارج الاجتماع الافتخاريسي وليس داخله.

ان البساطة في الاحتفال لم تكن كافية لدولة الكنيسة ، والدولة لم يكن باستطاعتها ان تقضي لبانية ظفر كنيستها الداخلي. فالدولة تتطلب الابهة ومظاهر الاحتفالات ، اما هذا الامر فكان مطلب القلب البشري الذي يجب ان يحيط حياته الديتوريجية باكثر مما يمكن من الابهة والمهرجان. وكان ذلك معقولاً وقانونياً وخصوصاً في الوقت الذي كانت الوثنية لا تزال فيه قوة حية ولمدة طويلة بعد تسالم الكنيسة والدولة .

ان العبرية البشرية وضعت نفسها في خدمة الكنيسة ، كما وضعت نفسها سابقاً في خدمة الوثنية . ولو لم يحدث ذلك لما كان لنا تلك الخزائن الزاخرة من الفن التي نملكتها الان . فالحياة الديتوريجية بقيت بدون انقطاع حياة احتفالية ولكن الاحتفالية لم تدخل في اسسه . فهي لا تتعدى حسراً درجات الهيكل . وفي حقبة تاريخ الكنيسة القائمة يلقي المؤمنون سيدهم في سر الشكر في بساطة متواضعة كما كان قبلأ ، ومع ذلك فالتوازن بين الابهة التي كانت ترافق الكنيسة ، وبين بساطة سر الشكر لم يكن قائماً دائماً . فقد كان يفقد اما بسبب الدولة او بسبب المسيحيين انفسهم .

فقبل منشور ميلان كان الاسقف المسيحي ايضاً في مملكة تدمر موظفاً من اكبر موظفي الدولة . في جمع انطاكيه سنة ٢٦٨ كتب في رسالته حاكماً على بولس الساموساطي ما يلي :

« لندع جانباً ترفعه وتصلفه وكبارياءه وتتسكه بالألقاب الدينية ورغبتها الملحة لتسميتها شيئاً في القصر اكثراً من ان يدعى اسقفاً . وبمثل هذه الكبراء كان يدخل الى الساحات العامة محاطاً ببعض السكارى

وقارئاً في مسيرة بصوت عال الرسائل امام كل الشعب حتى ان ايائنا نفسه كان معرضاً للنقد والتشنيع بسبب عجرفة قلبه . ولندع جانباً تكبره في الاجتماعات الكنسية الذي كان يجتهد ان يظهره في حبه للمجد وفي ادعائه مغرراً بذلك النفوس الغضة . وقد بنى لنفسه كاتدراء وكرسيّاً عالياً كما يفعل المسلطون في العالم حائداً بذلك عن تعليم المسيح ، وحذف الاناشيد المعدة لتمجيد ربنا يسوع المسيح ، مدعياً بانها من نظم متاخر وقام بها رجال متاخرون . وامر في يوم الفصح العظيم ان يرثوا لتعظيمه هو نفسه ، وعين لذلك نسوة ما كان احد يصغي الى انشيدهن الا ويقشعر بدنـه ... وذهب مادحوه والمترغبون له الى ابعد من ذلك فكانوا يؤكدون ان معلمهم الملحد ملاك نزل من السماء . اما الاسقف المتعجرف فلم يعترض مثل هذه الاغاني والترانيم بل ظل في الكنيسة حين تلاوتها »<sup>١</sup> .

انه مقطع صغير من تلك الرسالة . اما الكنيسة فقد حكمت على بولس الساموساطي ، ليس فحسب بسبب ما تقدم ، بل بسبب تعليمه ايضاً فأبعده عن كرسيه بمساعدة سلطة الدولة الرومانية ، التي كانت ترتئي رأيهم . ولما كتب افسافيوس تاريخه كان قد تبدل تنظيم الحياة الكنسية . فالاساقفة ما كانوا بقادرين على الاقتداء ببولس الساموساطي . ومن المحتمل ان رسالة الجمع الانطاكي كان لها عند افسافيوس ، والى حد ما ، فعل شهادة ضد معاصريه من الاساقفة . فقد دخلت بدون انقطاع مباديء في الكنيسة لم تكن معلومة في العصر الذي سبق عصر جمع نيقية . فانجز مهرجان حفلة دخول البطاركة الى الكنيسة تحت تأثير حفلات البلاط الامبراطوري . وانتقلت ترتيبات تنصيب

١ - افسافيوس . تاريخ الكنيسة ٧ ، ٣٠ في الترجمة الروسية سنة ١٧٥٨ صفحة

الامبراطور لموظفي الدولة الى شرطونية الاسقف ، ولا يزال محفوظة الى وقتنا الحاضر ، ودخل الاحتفال الى القسم الاول من الليتورجيا ، وهو ما كان يسمونه (بالسيناكس) او ما يطابق تقريباً قداس الموعظين عندنا : فأخذ القساوسة يساهمون فيه مساهمة فعلية ومع ذلك فالقائم « بقداس المؤمنين » كان لا يزال الاسقف وحده او الكاهن اذا كان يخدم في كنيسته ، وعندما كان يقوم الاسقف بخدمة القانون الافخاريسي ( وهو ما نسميه الان بالكلام الجوهري ) كان يسكت الكهنة ولا يساهمون .

ولدينا معلومات عن ذلك من مصادر متعددة ، لا اجدني بحاجة لان اسوقها كلها هنا . سأدل فقط على شهادة « القوانين الرسولية » ، وهو كتاب ألف بكتابه في سوريا في نهاية القرن الرابع او بداية القرن الخامس . فالكتاب الثامن من هذا المجلد يبدو انه تحرير لكتاب « التقليد الرسولي » مؤلفه هيبيوليت رومية . وبالرغم من التغيرات المهمة التي دخلت في الحياة الليتورجية لقرنين ونصف تقريباً ، فمبدأ اتمام الاسقف نفسه سر الشكر بقي ثابتاً . فالاسقف المشرطن حديثاً يتم سر الشكر وحده بمساعدة الشامسة ولكن بدون « اشتراك » الاساقفة الملتمين ساعة الشرطونية ، كمارأينا سابقاً في كتاب « التقليد الرسولي » ، « وفي الصباح ينصب (الاسقف) بقية الاساقفة على الكرسي المعد له ، وكلهم يرحبون به بقبلة بالرب . وبعد قراءة الناموس والأنبياء والرسائل والأعمال والإنجيل فليهنئ المشرطن الكنيسة بقوله « نعم ربنا يسوع المسيح ومحبة الآب »<sup>١</sup> . اما الاسقف الذي شرطن فيجلس على الكرسي مترئساً الكنيسة ، ويرحب عند ذلك ، بصفته رئيساً للجتماع ، بكل المجتمعين في الكنيسة وبينهم الاساقفة المضافون الذين

---

١ - القوانين الرسولية الكتاب الثامن ، الترجمة الروسية ، صفحة ٢٥٦ .

يساهمون في الاجتماع الأفخاريسي . « ولما ينتهي الاسقف من كلام الارشاد فليقف الجميع وليعلن الشهاد من على مكان عال : « لا احد من السامعين لا احد من الموعوظين »<sup>١</sup> . ويتوال الاستدعاءات المطابقة للاكتانى عندنا . يجب ان نلاحظ ان الشهاد لا يتلو الصلاة هنا ، ولذلك فالاكتانى التي يتلوها في ترتيب قداسنا الحاضر لا تعد صلاة الكنيسة ولكنها دعوة الكنيسة كلها الى الصلاة . فتلاوة الصلاة بالمعنى الحصري تخصل اذن الاسقف فقط او السكاهن اذا كان يرأس الاجتماع الأفخاريسي . اما الاسقف فهو « مشارك » الاسقف كما انه مساعد المباشر عند القيام بالذبيحة الالهية ، ولكنه لا « يشارك معه » في الخدمة بمعناها الحاضر للشركة . وعند انتهاء ما نسميه « بقداس الموعوظين » يحمل الشمامسة القرابين الى الاسقف على المائدة . اما الكهنة فيبقون على جهتي المائدة كالتلامذة الذين ترأسمهم المعلم <sup>٢</sup> . لقد اشارت الى هذا التفصيل الذي لم يكن معروفاً في ترتيب كتاب هيبروليت رومية . اما الكهنة فكانوا يقتربون الى المائدة قادمين من اماكنهم . ونحن نجد هذا التفصيل ايضاً عند كيرلس الاورشليمي في كتابه « المدخل الى الاسرار » الذي كتبه في النصف الثاني من القرن الرابع : « وهكذا رأيت ان الشهاد يقدم الماء الى الاسقف للغسيل ، وكذلك الى الكهنة الذين يحيطون بمذبح الله » . ان غسيل اليد ي هذا لا يتناول الاسقف والكهنة فحسب ولكنه يشمل رمياً كل المؤمنين ، ويتابع كيرلس الكلام فيقول : « وهو يقدم الماء ليس بسبب نجاسة جسدية ، لانه لو كانت اجسادنا منجسة لوجب علينا الا نذهب الى الكنيسة البتة . ان غسيلاً مثل هذا يستعمل

١ - القوانين الرسولية ، الكتاب الثامن ، الترجمة الروسية ، صفحة ٢٥٧ .

٢ - نفس المصدر ٨ : ١٢ ، صفحة ٢٦٧ .

كاشارة الى انه يجب علينا ان نكون اتقياء من كل خطيئة ومن كل مخالفة للناموس . وذلك لأن الايدي تشير الى العمل ونحن ندعها تفكير بواسطة الغسيل بالطهارة وبعدم الملامة في الاعمال »<sup>١</sup> . فيتضح اذن من كلام كيرلس الاورشليمي ان الكهنة يكونون حول المذبح وليس في اماكنهم في الوقت الذي يتم فيه الاسقف الذبيحة الاهية .

و اذا كان كتاب « المدخل الى الاسرار » قد كتب قبل « القوانين الرسولية » فمن الممكن ، مع شيء من الترجيح ، ان نفترض بأن العادة التي صورناها ظهرت في اورشليم . ومن المرجح ، ونظرأً للعلاقات الوثيقة بين فلسطين وسوريا ، ان هذه العادة تأصلت نسبياً في سوريا . ان انتشار « القوانين الرسولية » الواسع في الشرق ساعد على انتشار هذا التفصيل الليتورجي ، ومن المرجح ايضاً ان يكون قد حدد ميزة هندسة بنيان الهيكل في الشرق ، الذي اختفت منه الاماكن الخاصة بالكهنة . فاقتراب الكهنة من المذبح ، ساعة يقوم الاسقف بالذبيحة الاهية ، لم يتغير من جوهره شيء . فقد تناول التغير الاماكن في الهيكل ، وهذا لا يشهد على « مشاركة » الكهنة الاسقف في الخدمة فهم ليسوا الا تلاميذه يحيطون بالمعلم ، ولكن المعلم يبقى دائماً متتم الذبيحة الاهية الوحيد . ولو كانت فكرة الشركة الفعلية في ذهن واضح « القوانين الرسولية » لعبرت عن نفسها قبل كل شيء بكلامه عن اشتراك الاسقف الشرطن حديثاً مع الاساقفة الذين شرطوه ، الا انه ليس لدينا على ذلك اية اشارة في « القوانين الرسولية » . وبالعكس فلدينا عدة دلائل تشهد على فقدان فكرة الشركة في ذهن المؤلف ، فكرة الشركة كما نفهمها نحن . فهذا المؤلف عندما يذكر ان القساوسة يقفون من على جانبي المذبح يشير ايضاً الى ان اول الكهنة يقف امام المذبح متسللاً حلة

<sup>١</sup> - كيرلس الاورشليمي ، ( C . T ) ٥ : ٢ الترجمة الروسية ، ١٩١٣ ، صفحة ٢٤٧ .

كهنوتية ناصعة البياض « والمتقدم في الكهنة بعد ان يكون قد صلى في نفسه مع الكهنة ، وتسربل حلة ناصعة ، ووقف امام المذبح ، ورسم اشارة الصليب على جبينه فليقل : « نعمة الله الضابط الكل ومحبة ربنا يسوع المسيح ... »<sup>١</sup> ان واضح القوانين الرسولية لا يتكلم عن حلة ما خاصة بالاسقف ، ولكنها يحدثنا فقط عن « لباس ناصع » وهذا اللباس الناصع الذي لا يملكه لا الكهنة ولا بقية المؤمنين ، كان دليلاً على كرامته الكهنوتية كمتم لسر الشكر . اما صلوات قانون القدس الحالي فقد كان الاسقف يقرأها ويختمها الشعب كله . ويكمل الاسقف بعد لفظة كلمات التكريس فيقول : اتنا نقدم اليك ايها الملك الاله هذا الخبز وهذه الكأس على حسب ترتيبه ، شاكرين ايكم لانك اهلتنا ان نقف امامك ونباررك <sup>٢</sup> . وبعد ذلك يأتي استدعاء الروح على الخبز والكأس . ثم يصلى الاسقف لاجل الكنيسة . « ومن اجل كل الاساقفة القاطعين كلمة الحق . وايضاً نطلب من اجلي انا المتقدم اليك ومن اجل حقارتي ومن اجل كل الطغمة الكهنوتية ( اي من اجل طغمة كهنته ) ، ومن اجل الشمامسة وكل الاكليلوس ومن اجل كل حكمة يكلها الروح القدس »<sup>٣</sup> . « وايضاً نطلب منك من اجل هذا الشعب مسيحك ، فاجعلهم ألسنة مقدسة لتمجيد ملكوت مسيحك المقدس »<sup>٤</sup> . وهكذا يتطلب الاسقف باسم الكل في هذا الدعاء الجديد ، اي الكنيسة المحلية المجزأة الى اجزاء متعددة ، وتصلي الكنيسة منذ الابتداء لاجل الاسقف الذي عرف وحده بكونه حامل القرابين ، فالمقدم واحد لا غير ، اي انه وحده يقدم القرابين باسم الكنيسة .

١ - القوانين الرسولية ، ٨ : ١٢ ، الترجمة الروسية ، صفحة ٢٦٧ - ٢٦٨ .

٢ - نفس المرجع ، ٨ : ١٢ ، صفحة ٢٦٧

٣ - قابلها مع صلاة قداس باسيليوس الكبير : « اذكرني يا رب بحسب كثرة رأفتك انا ايضاً غير المستحق ... » .

٤ - القوانين الرسولية ، ٨ : ١٢ ، الطبعة الروسية ، صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠ .

أو عبارة « مقدم القرابين » المألوفة في عصرنا الحاضر كانت غير معقولة لمؤلف « القوانين الرسولية ». فبعد « القدسات للقدسين »، التي يقوها الاسقف ، يحيي الشعب : « قدوس واحد ». « والله الرب ظهر لنا : أوصانا في الاعالي ». ان هذا الصراخ الاهي الذي يقوم به الشعب هو دليل على مجيء الرب المجد بالروح، وهو بمعنى واحد مع صراخ كنيسة الرسل : ماران آثا . « وبعد ذلك فليتناول الاسقف ثم الكهنة والشمامسة والاييودياكون ، والقراء ، والمرتلون ، والموحدون ، ومن النساء الشمامسات ، والعذارى والارامل ثم الاولاد ، وبعد ذلك كل الشعب بالترتيب وبورع وبكل تخشن وبدون ضجة . ول يقدم عند ذلك الاسقف المزاولة قائلا : « جسد المسيح » والمتناول ليقل « آمين » وليمسك الشهاس الكأس وليقل : « دم المسيح ، كأس الحياة » اما الشارب فليقل « آمين » . مما تقدم يتضح ان الاسقف نفسه يوزع القرابان الشكري ، بحسب « القوانين الرسولية » اما الكأس فالشمامسة مبتدئاً بالقساؤسة . وترتيب تقدمة القرابين هذا يستخلص من بقاء مبدأ اقام الاسقف وحده سر الشكر غير متغير في عصر « القوانين الرسولية ». ونحن لا نجد في اثنا هذا ذكر الفكرة « مشاركة الكهنة الاسقف » . واذا دل القانون الثامن عشر من قوانين بجمع نيقية على تأثير في ترتيب المزاولة فهذا التأثير كان قليل الاهمية جداً .

٤- وفي بحر مائة سنة من بداية العصر النيقاوي نستطيع ان نلاحظ في السؤال الذي يهمنا تغيراً واحداً فقط ، وهو اقتراب الكهنة من المذبح . ومن الممكن ان يكون هذا التبديل نقطة تحول في ظهور فكرة « الاشتراك الفعلى في الخدمة » بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة . ومن الممكن ان يكون قد ظهر هذا الاتجاه في بعض الاماكن ابتداء من القرن الخامس ، ولكن لم ينتشر تماماً ولا وضع موضع العمل . ومن المبين جداً ان هذه الفكرة كانت غريبة عن مؤلف « في الرتب

الكنائسية» . فالذبيحة الالهية يخدمها بعرفه « الرئيس الروحي » (الاسقف) وحده اما البقية فيستكون لهم . واما ما يتعلق « بالقساؤة » اي الكهنة فيذكرهم مرة واحدة فقط عند وصفه الذبيحة الالهية فيقول : « عندما يتم هذا التقديس بحسب الترتيب الموضوع يغسل الاسقف يديه بالماء مع مصاف الكهنة الموقر وهو واقف امام المقدمات الكلي قدسها »<sup>١</sup> . فالامر ظاهر للعيان بهذا المقدار حتى ان لا هوته الكنسي والافخاريستي لا يطابق ولا بصورة من الصور الا كليسيولوجية القديمة . واذا ابتدأت فكرة « الشركة » كما نفهمها انحن بان تجد لها مكاناً في القدس الالهي فانها انحصرت فقط ، كما بيننا اعلاه ، بالقسم التمهيدي منه . وهذا القسم تعقد وتطلب صفة احتفالية الا ان القيام « بالقانون الافخاريستي » بقى خاصاً بالاسقف دون منازع . وقد كتب جرمانوس القدسطياني : « ان الكاهن » قد قام بالخدمة كما مارس يوحنا السابق العمودية ، اما الان ، وقد رأى الاسقف يدخل فهو يتبع عن مكانه وكأنه يقول بصوت خافت ما قاله يوحنا : « يجب ان يرتفع هو وان اختبئ انا » ، وابتداء من هذه البرهة يقوم الاسقف باقام السر الاعلى فيصرخ : لانك قدوس انت يا اهنا »<sup>٢</sup> . ففكرة « الشركة في الخدمة » لم تدخل اذن المفهوم الكنسي حتى ولا في القرن الخامس عشر . فالاسقف وحده ، برأي سمعان الصالوني ، يبقى مثل الخدمة الافخارستية والقائم الوحيد « بالقانون الافخاريستي » .

٥ - ان الفكر الليتورجي في بيزنطية حاول مستضعفاً ان يقيم سداً لم يكن لاحد ان ينقضه . فقد عملت بيزنطية كل شيء لتدخل الابهه

١ - في الرتب الكنائية ، ٣ : ١٠ ، الترجمة الروسية ، صفحة ٨٤ .

٢ - جرمانوس القدسطياني . الشرح المتتابع للخدم الكنائية وطقوسها . الترجمة الروسية ١٨٥٥ ، صفحة ٣٨٠ .

الخارجية في اقام سر الشكر ولكنها حددت ذلك بالقسم الاول من القدس . ولم تقرر ان تبدل المبدأ الاساسي في اقام الاسقف وحده سر الشكر ، فابقت القانون الافخاريستي كما كان سابقاً . ولكن عصراً آخر نقض هذا المبدأ ، الا انه بقي عاجزاً ليس فقط عن ان يضع اساساً لفكرة الشركة في الخدمة ، ولكن بقي عاجزاً ايضاً عن ان يضع حدوداً للشركة هذه<sup>۱</sup> . ان مارستنا للشركة عند القيام بسر الشكر غير قائمة على اساس ، ومع ذلك فقد تأصلت في مفاهيمنا . فالاب لويس بوية عندما يتكلم عن الشركة بالخدمة في الكنيسة الكاثوليكية ، هذه الشركة التي تمت فيها الى حد ضئيل ، يكتب فيقول بان عرف الكنيسة القديم بقيام الاسقف وحده بسر الشكر ، هذا العرف يبدو في وقتنا الحاضر قليل التقوى بل يبدو الى الارثوذكس انه غير تقوى الى حد كبير . انتا سنتوخي الحذر في حكمنا فنسائل انفسنا كيف كان يشعر بنفسه مسيحي القرن الثاني والثالث لو وقع على قداستنا الحاضر . من الممكن ان تبدو مارستنا قليلة التقوى والورع كما تبدو لا كثريتنا قلة التقوى في ممارسة الكنيسة الرسولية الاولى له « فهذا اذن هو شكل الافخارستيا الاحتفالي الاولى في كل الكنيسة القديمة : وهو ان يكون قداساً يقيمه الاسقف او شخص خادم وحيد يمثله وحيث يحضر الكهنة فقط ويتناولون . فال فكرة السائدة اليوم بين الاكليروس والذاهبة الى

۱ - ان المتقدم في الكهنة كالتسيف يثبت بصورة جازمة ان « المشتركين بالخدمة » يجب عليهم ان يقولوا في ذواتهم عند القيام بالقدس كل ما يتلوه بينهم المرئى حتى كلام التقديس وصلة دعاء الروح القدس . وفكرة الشركة بشكلها هذا من الصعب جداً ان يعترف بها باتفاق في وقتنا الحاضر . أيعبر ذلك عن رأي تعليم الكنيسة الارثوذكسيّة ؟ انه من الصعب بمكان كبير ان نعطي جواباً على هذا السؤال لأن الكنيسة الارثوذكسيّة لديها عرف يتعلق « بالشركة في الخدمة » متين وليس لديها تعليم حولها .

ان ممارسة كهذه ليست تقوية لها اهانة بجانية موجهة الى الكنيسة  
الرسولية »<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - لويس بويه « La Maison-Dieu »، رقم ١٨ ، صفحة ١٤٨ .

## اشتراك الشعب مع الاسقف

١ - ان المسيح اسس الافخاريستيا ليلة العشاء السري ، فقد قال : «اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له: المعلم يقول ان زمامي قد اقترب» (متى ٢٦ : ١٨) . لقد اقترب وقته الذي لا جله جاء الى العالم . «و قبل عيد الفصح لما كان يسوع يعلم ان ساعته قد اتت لينتقل من هذا العالم الى الآب ، وكان قد احب خاصته الذين في العالم احبهم الى الغاية» (يو ١٣ : ١) ، ان وقته يدخل في مفهوم ساعته ، وكانت تلك الساعة ساعة الآلام والموت ، وساعة العشاء السري الذي فيه اسس الافخاريستيا بعد ان احب خاصته في العالم الى النهاية «هذا هو جسدي الذي يبذل لاجلكم ... وهذه هي الكأس ، العهد الجديد بدمي الذي يسفك من اجلكم» (لو ٢٢ : ١٩ - ٢٠) . لقد كان العشاء السري بالفعل عشاء او «مائدة عشاء» ، واذا كان العلم اللاهوتي الليبرالي المعاصر يحاول ان يتلوهت فيقول ان العشاء السري كان مائدة فتحن ننسى تماماً هذه الخاصة . فقد اضعنا في حياتنا الدينية ، بسبب اعتبارات متعددة ، فكرة اكل الطعام .

ان تناول الطعام كان له صفة دينية بالنسبة الى كل يهودي متبع في

زمن المسيح ، وخصوصاً في موائد العشاء يوم السبت والاعياد وعيد الفصح . فقد كانت تقام الموائد بوجب الطقس المتبوع الذي لم يكن أحد من اليهود قد قرر أن ينقضه في الشروط الاعتيادية . وكانت طقوس موائد العشاء تختلف فيما بينها ، وخصوصاً طقس عيد الفصح . ولكن كانت فيها كلها بعض الأسس العامة . وكانت كلها تتضمن صفة دينية وكانت بطبيعتها كهنوتية يقوم بها من كان يرأس الموائد . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يجري فيها « كسر الخبز » ، كجزء ضروري في كل الموائد ، وكانت تتبعه صلاة الشكر .

وكان كل عائلة يهودية تؤدي فروض مائدة العشاء في السبوت والاعياد . ولكن بأي طريقة استطاع المسيح أن يكمل العشاء مع تلاميذه ؟ نعلم الآن انه كان يوجد حلقات خاصة واخويات منتشرة بين اليهود بكثرة في زمن المسيح ، وكانت مهمتها بعث حياة اعضائها الداخلية واشتراكيتهم في العمل الصالح . وكان اعضاء مثل هذه الحلقات الاشتراكية يتئمون حول مائدة عامة ، وكان يطلق عليهم اسم « شابورة » ، ( نسبة الى « شابر » اي صديق ) ، ومن المؤكد تقريباً ان المسيح كان يؤلف مع تلاميذه حلقة كهذه الحلقات<sup>1</sup> . ولم تكن طقوس هذه الحلقات الودية تختلف بشيء عن طقوس الموائد البيتية ، اي ان اكبرهم سنآ كان يلعب دور مادر البيت ورئيسه . هكذا كانت المائدة في عشاء المسيح السري ...

## ٢ - ونحن نعثر على المعلومات المتعلقة بالعشاء السري في الانجيل

١ - وان لم يكن في عصر المسيح في الاوساط اليهودية « شابوروت » ، فان كل معلم ( اي ربان ) كان يجتمع مع تلاميذه على مائدة عامة . ولم تكن مائدة العشاء السري المائدة الوحيدة لل المسيح مع تلاميذه . ولكنها كانت آخر عشاء ارضي له ، وكانت تحمل في نفسها صفة خاصة تماماً .

المتوازية وفي كتابات بولس الرسول وفي النجيل يوحنا تحت شكل ما خاص . وتنتفق اسس هذه المعلومات ولكنها تتبادر في التفاصيل . والاختلاف الرئيسي متضمن فيما اذا كان العشاء السري المائدة الفصحية ام لا ؟ فالاناجيل المتوازية تدعنا نفهم بصورة ما انها كانت مائدة فصحية ، في حين ان يوحنا يدل بصورة قطعية ان المسيح اتم العشاء السري قبل الفصح بيوم ( عشية الفصح ) . ليس ثمة من امكان للتوافق بين شهادة كتبة الاناجيل الثلاثة الاولى وبين معطيات النجيل يوحنا ، ويجب ان نختار احد الحلتين . اما بالنسبة لي فان القضية لا اهمية لها هنا ، بالرغم من انها بحد ذاتها من الامور بمكان كبير . ولاجل ذلك فانا اوردها دون ان يكون قصدي حلها<sup>١</sup> . وسواء تبنينا الحل الاول او الثاني ، فهما لا شك فيه هو كسر المسيح الخبز ومباركته الكأس . وقد انضم الى هذين الفعلين كلمات المسيح الخاصة التي بواسطتها تأسست الافخاريسية .

لقد اشرت الى ان الموائد كان لها عند اليهود صفة دينية . وقد قويت هذه الصفة في الموائد العامة والموائد المقامة في الحلقات الودية . وكانت هذه الصفة تبلغ ذروتها في مباركة الخبز والكأس او الشكر عليهما . وقد نتمكن ان نقول في هذه الاعمال وكون لها صفة قدسية . فالخبز والكأس كانوا يتقدسان بواسطة الشكر ، فيفقدان صفتهم العادية . وبذلك كانوا يتميزان عن الخبز والتمر بصورة عامة . اما في المائدة السبتية فكانت تحضر كأس خاصة يلفظ عليها صلاة تمجيد خاصة ، وكان السبت نفسه

١ - ان الاسقف كاسيانوس يعتبر في كتابه «المسيح والنجيل الرسولي الاول» ( بارنر ١٩٥٠ ، صفحة ٨٩ - ٩١ ) ان العشاء السري كان مائدة المسيح الفصحية . ويفترض نظرية موافقة شهادة يوحنا لشهادات الاناجيل المتوازية . وانا اميل شخصياً الى ان العشاء السري لم يكن عشاء عيد الفصح ولكن قرباتها على الاقل للمائدة الفصحية ، التي لم يستطع المسيح ان يتممها مع تلاميذه ، اعطتها صفة احتفالية خاصة .

يُقدس بواسطتها . وبهذا التقديس كان السبت يفقد صفة الأيام الاعتيادية .

وكان شخص واحد يتلو دائمًا صلاة الشكر او التمجيد على الخبز والخمر حتى وعلى كل الاشياء على الموائد . ففي الموائد البيتية رئيس البيت اما في الموائد « الشابوراه » فممثل الحلقة الودية . والشكر والبركة بحسب طبيعتهما كانا عملاً كهنوتيًا يتممه شخص واحد باسم جميع المشتركين في المائدة وبوافقهم . وهذا يستنتاج من المخاطبة التالية بين رئيس المائدة والمشتركون فيها قبل مباركة الكأس ، فيعلن الرئيس : « لنشكر هنا ربنا » فيجيبه المشتركون : « ليتبارك اسم رب الآن وكل آوان » . فيقول : « اننا نشكر بموافقتكم من يجعلنا مشتركون بنعمته ، فليتبارك من يجعلنا مسامحي نعمته لأننا من احساناته نحن نعيش ... » اما الشخص الذي يقوم بالبركة في الموائد فيبقى نفسه ، ولا يتبدل من مائدة الى مائدة . اذ ان سلطته في اتمام هذا العمل المقدس لا تتأتى من استحقاقه الكهنوتي ، الذي لا يحوز عليه عادة ، ولكن من تمثيله للمشتركون . فاليسوع كان يرأس دائمًا الموائد التي كان يتم مع تلاميذه مدة حياته الأرضية ، كما ترأس مائدة الاخيرة . وعندما كان يدعى الى الموائد كان يشغل مكان الفرد المشترك ، اذ ان الرئيس كان رب البيت ومدبره ، وهو الذي يتکفل بلوازم المائدة : « ودخل بيت احد رؤساء الفريسيين في السبت ليأكل خبزاً ... » ( لو 14: 1 ) ، « وسأله احد الفريسيين ان يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ .. انت لم تقبلني ... انت لم تدهن رأسي بزيت ... » ( لو 7: 36 - 46 ) . وكان اصغر المشتركون يساعد عادة رئيس الحلقة او رب البيت ، اذا لم يوجد خادم خصيص . فكان من الواجب ان يكون يوحنا هذا الخادم في مائدة المسيح ، ولكن المسيح نفسه كان بالفعل « الخادم » في العشاء السري : « فأنه من اكبر المتكتئين ام الذي يخدم ؟ أليس المتكتئ ؟ فأننا في وسطكم كالذي يخدم » ( لو 22: 27 ، مر 10: 45 ) .

٣ - « ان عادة اقام الافخاريستيا لم تنشأ لا من خدمة الميكل ولا من خدمة الجموع . والاخير يدلنا على تأثيره في « السيناكس » ، الذي كون بعد ذلك اول جزء من قداسنا الاهي . فعادة الافخاريستيا نشأت من عادة الموائد او بالاحرى من عادة العشاء السري . فعندما كان التلاميذ يجتمعون في الاجتماع الافخارستي ، بعد حلول الروح القدس عليهم يوم العنصرة ، فاجتازهم هذا كان يتناول المائدة كما كان العشاء السري . فكانوا يكسرن الخبز بعد « صلاة الشكر » عليه ويباركون الكأس . ولم تكن الشركة والبركة لتختلفا عن تلك الكلمات التي نطق بها يسوع المسيح . وعندما انفصلت الافخاريستيا عن المائدة بفهمها الحاضر ، اصبحت تقام وحدها ، او بالاحرى عندما اصبحت الافخاريستيا مائدة مشتملة فقط على كسر الخبز وبركة الكأس عند ذلك اختلف ترتيب الافخاريستيا نوعاً ما عن الترتيب المتبع في الموائد اليهودية ، فدخلته تغيرات وصلوات تقال على الخبز والكأس ، ولكن اسس العادة بقيت كما كانت قبلًا . فان ليتورجيتنا ، اي قانون الافخاريستيا ، احتفظ ليس بهذا الاساس لا بل ببعض التفاصيل المتأتية عن الموائد اليهودية . مثال ذلك غسل الكاهن يديه قبل القداش الاهي وبعد المناولة ، او عند الانتهاء منه . ولذلك فلا نعطيها اي معنى رمزي فهي تأتي من ترتيب الموائد اليهودية كما ان تقديم البخور المحروق وتبريكه وعادة اشعال الشمع تتعلق كلها بهذه الموائد .

ان المelinee التي دخلت تاريخ تطور الفكرة اللاهوتية والليتورجية بقيت خارجية وحفظت من ورائها اسس افخاريستيتنا في صورتها الاولية .

فالعلاقة مع الموائد اليهودية الكائنة في ترتيب الافخاريستيا تفسّر بكون الافخاريستيا نفسها تبدو في احد مظاهرها تكملة لسر عشاء المسيح السري . « اصنعوا ذلك لذكرى » . ان كلمات المسيح هذه التي

يدور حولها الخلاف حتى وقتنا الحاضر ، ليس لها معنى واحد عندنا وعند الجيل الاول المسيحي اليهودي الاصل او بالاحرى عند الرسل انفسهم . فالتأكيد بالنسبة لهم يقع على الجزء الثاني من وصية المسيح ، « لذكرى » اكثرا منه على الجزء الاول « اصنعوا ذلك » . واليسخ كان يعرف بأن الرسل كيهود سوف يقيمون الموائد بعد موته . ولكن كان من الواجب عليهم ان يقيموها « لذكر » المسيح اذا ما اجتمعوا حولها بعد العنصرة . فالمشتركون في الموائد « تذكاراً » للمسيح سيصبحون شعب الله المجتمع « في المسيح » عبر الجلجلة والموت والقيامة . وهكذا تصبح المائدة اليهودية التي يقيمها الرسل ، مائدة ذات صفة دينية ، او حاوية على سر الكنيسة ، على حد تعبير العهد الجديد . اما بالنسبة لنا فإن التأكيد يقع بوقت واحد على الجزئين كليهما اي على « اصنعوا ذلك » وعلى « تذكاراً » .

وعلينا نحن ان نقوم بذلك حتى مجده الثاني في مجد العشاء السري تذكاراً له ، اي ان في هذا السر وبواسطته يعود اليانا المسيح المجد . وعندما نتعمها نكون قد اجتمعنا في « كنيسة الله في المسيح » « عندما تجتمعون في الكنيسة .. » وهكذا تصبح مائدةتنا مائدة رببة .

؟ - والآن نتساءل من ترأس الافخاريستيا الاولى ؟ نحن نعلم ان الافخاريستيا الاولى حدثت بعد عيد العنصرة اي بعد ارسال الروح القدس الذي تحقق بتأسيس المسيح سر الشكر في العشاء السري وهذا الشكر لم يكن من الممكن اتمامه قبل الجلجلة . وذلك لأننا به « نذكر موت الرب الى ان يحيى ثانية » ( ١ كور ١١ : ٢٦ ) . ولكن الموائد التي اشتراك فيها المسيح مع تلاميذه بعد قيامته لم تكن اجتماعاً افخاريستياً لأن المسيح لم يكن قد صعد بعد « الى ابيه وابينا والاه واهنا » ( يو ٢٠ : ١٧ ) ، ولأن الروح ، الذي يستدعيه الآن من عند

الآب ، لم يكن قد حلّ على التلاميذ ( يو ١٤ : ١٦ ) . لقد كان من الواجب ان يترأس شخص واحد الافخاريستيا الاولى، وذلك لأن مكان المسيح هو واحد وقد شغله في العشاء السري . ونحن نستطيع ان نقول بشيء من التأكيد ان الرسول بطرس هو الذي شغل هذا المكان ، وعلى كل الاحوال ان لم يكن هو فواحد من الرسل ، لأن واحداً فقط كان يمكنه ان يرئس المائدة ويلفظ صلاة الشكر على الخبز ويبارك الكأس . ولكن في اي برهة اصبح يعقوب المترئس الاجتماع الافخارستي في كنيسة اورشليم؟ ان ذلك صعب تحديده . وقد كان مترئس الاجتماع الافخارستي مترئس الكنيسة في الوقت نفسه والعكس صحيح . وهذا الامر يستنتج من طبيعة الكنيسة نفسها .

ان مصاحبة يسوع تلاميذه في حياته الارضية انقلبت الى مصاحبة عبر الروح القدس في الحلقة المسيحية . فقد اصبحت كنيسة بصفتها اجتماع شعب الله في المسيح . فكما ان مترئس الحلقة اصبح ايضاً مترئس الموائد كذلك رئيس الكنيسة اصبح المشرف الاول في الاجتماع الافخارستي ، ولم يكن الامر يقتصر على كنيسة اورشليم ولكنـه كان يطبق في الكنائس الـاخـرى التي اسسـها الرـسـل . فقد كان كل مترئس اجتماعاً افخارستياً في كنيسة محلية مترئساً لهذه الكنيسة نفسها . هـكـذا كان ولم يكن من المـمـكـن ان يكون غير ذلك .

ان ترتيبات الهيكل في العهد القديم كانت تجيز ان يقدم رئيس الكهنة والكهنة معـاً الذبائح ، او ان يقدمـها كل واحد منفرداً عن الآخرين . والمسيح لم يكن له كهـنـوت لاـوي في حـيـاته الـارـضـية ، ولكنـه اصبح رئيس كهنة كنيسة الله . وقد قدم نفسه ضحـية بـصـفـته رئيس كهنة مـرة وـاحـدة عنـ الكل *Ἐφάπας*<sup>72</sup> وكذلك لم يكن للشخص الذي حلّ محل المسيح في الاجتماع الافخارستي كـهـنـوت

لاوي ، كما انه لم يكن للمشترين في الاجتماع الشكري الاول . وقد ترأس المسيح العشاء السري « مرة واحدة عن الكل » ، كما قدم نفسه ذبيحة « مرة واحدة عن الكل ». ومعنى ذلك ان العشاء السري الذي اسس فيه المسيح سر الشكر ، قد تم «مرة واحدة عن الكل» ، بمعنى انه وحده دون غيره ترأس العشاء السري . ولذلك « فمرة واحدة عن الجميع » تتم تحت رئاسة شخص واحد في الاجتماع الافخاريستي الذي هو واحد دوماً ، كما ان المسيح واحد في الزمان والمكان . ونحن لا نستطيع ان نصور لانفسنا انه كان مثة عدة مترئسين ، او عدة قائمين « بالبركة » في اجتماع كنيسة اورشليم الشكري ، الذي اشترك فيه كل الرسل في الاذمنة الاولى . كما انه ليس من الممكن ان ندع انفسنا نتصور ان واحداً من الرسل كان يتلو « صلاة الشكر » على الخبز ، وآخر « صلاة البركة على الكأس ». ولو كان الامر كما ذكرنا ، لما كان هنالك سر شكر ، لأن عملاً مثل هذا يعد تحزئة للمسيح وتزييقاً لجسده ، ولبطلت ان تكون الافخاريستيا مائدة الرب . وما كان باستطاعة الرسل ان يفعلوا ذلك ، لأن في عملهم هذا نقضاً صريحاً لوصية الرب : « اصنعوا ذلك لذكرىي » . فالافخاريستيا اذن ، بصفتها سرًا كنسيًا ، يقوم بها شخص واحد لا غير . وهذا كان في طبيعتها نفسها . وليس مثة اجتماع افخاريستي بدون الكنيسة كما ان لا كنيسة بدون اجتماع شكري . ولكن من ناحية اخرى لا اجتماعاً افخاريستياً بدون مترئسه بصفته رئيساً للكنيسة . ان محل المسيح في العشاء السري محل واحد ، وواحد فقط يستطيع ان يشغله في الاجتماع الشكري . ومن يشغله يكون رئيساً على الكنيسة . وقد عبر عن ذلك اغناطيوس المتتوشح بالله بعد ذلك كما رأينا سابقاً بصورة تأكيدية مبنية على اساس طبيعة الافخاريستيا الايجابي بقوله ان لا سر شكر بدون الاسقف ، بصفة كونه رئيساً للكنيسة . والجديد في هذا التحديد ينحصر في الشكل

فيحسب ، وليس في المحتوى الذي وجد في الافخاريستيا الاولى التي ائتها بطرس الرسول ، كما زعمنا سابقاً. المترئس في اول نشأة كنيسة اورشليم وبموجب هذه الصفة كان يشغل المكان المركزي في اجتماعها الشكري . اما بقية الرسل فلم يكونوا متممـي « الشكر » ، وكذلك شأن المساهمين الاولين في اول اجتماع افخاريستي . ولم يكن تفريق بين الرسل والمساهمين فيها وبين بقية المؤمنين عندما كان يتمم سر الشكر . اما الفرق فقد كان بين مقدم « صلاة الشكر » وبين سائر المشتركين . وعندما تخلى بطرس الرسول عن رئاسة كنيسة اورشليم الى يعقوب ، تخلى له بطبيعة الحال عن رئاسته في الاجتماع الشكري . فعندما كان يتلو يعقوب وحده صلاة الشكر كان بطرس يشغل مكاناً بين بقية الرسل<sup>١</sup> .

٥ - وفي الموائد اليهودية لم يكن المترئس فقط ، بل كان ايضاً الخدم . فمن كان الخادم المساعد في الافخاريستيا الاولى او الافخاريستيات الاولى ؟ « فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يحسن ان نترك كلمة الله ونخدم الموائد » ( اعما ٦ : ٢ ) . كان توزيع الطعام على الارامل عملاً يومياً كما يظهر ذلك من كتاب الاعمال . اما الاجتماع الافخارستي فقد كان يجري في يوم القيامة ، في اول يوم بعد السبت ، وعلى كل حال فلم يكن ليجري كل يوم ولكن كان له علاقة بتوزيع الطعام اي انه كان

١ - نستطيع ان نقبل ، ونحن متأكدون الى حد كبير ، ان بولس الرسول او اي رسول آخر كان يشغل مكاناً مركزاً في الكنائس المحلية خارج فلسطين حيث لم يكن الرسل رؤساء هذه الكنائس ، وذلك عندما كان يساهم في الاجتماع الشكري . وهذا الوضع لا ينس ولا بصورة من الصور وحدة رئاسة الكنيسة المحلية . ويجب ان لا يغرب عن ذهننا طبيعة وضعية الرسل الاستثنائية وخدمتهم التي لا تتعداهم الى غيرهم ، اضف الى ذلك ان شغل الرسل المكان المركزي في الافخاريستيا لم يكن ليتم بدون موافقة رئيس الكنيسة . وهذا امر لا يختلف فيه اثنان .

مصدر أله . وهذه العلاقة تستنتج من النص الذي يروي لنا اقامة « الشامسة السبعة » . فلوقا يتكلم عن التذمر الذي حدث بين اليونانيين بسبب اهمال ارامتهم في الخدمة اليومية . وقد اشار الاثنا عشر على المؤمنين انه يجب ان لا تترك كلمة الله لاجل « خدمة » الموائد . ومن الواضح بالاستناد الى اقوال الرسل هذه ، او بالاحرى الى قول بطرس الرسول الذي كان « المتتكلم باسم الرسل » (Porte-Parole) ، ان هؤلاء كانوا يقومون بخدمة الموائد عندما اشاروا الى اقامة « السبعة » . وقد استمر ذلك بعد الموائد بصورة خدمة الارامل اليومية . والرسول بطرس لا يقول بأنه يجب عليه ان لا يرئس الاجتماع الافخاريسي ، ولكن يقول يجب على الرسل الا يكونوا « خدمة » فيه ، وذلك لأن تكاثر عدد المؤمنين دعا الى توسيع « خدمة » الموائد في خدمة الارامل اليومية . وقد استمر بطرس في رئاسة الاجتماع الافخاريسي طالما لم يشغل يعقوب مكان المتقدم أما « السبعة » فقد كانوا مساعدين وخدمة في هذا الاجتماع<sup>١</sup> .

٦ - ان كل ما تكلمنا عنه في رئاسة الكنيسة التي كانت تقوم بمساعدة (الخدم) في الافخاريستيا ، او بتعبير متأخر بمساعدة الشامسة ، ان هو الا ناحية واحدة من نواحي الاجتماع الافخاريسي . فالافخاريستيا هي « مائدة الرب » وعليه فيجب ان يكون حاضراً فيها دائماً ، علاوة

١ - من الممكن ان نفترض افتراضآ آخر يتعلق باقامة (السبعة) . فسيامتهم نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الاورشليمية وابتداء عمل الرسل الكرازي على نطاق واسع . فالرسول بطرس بصفته رئيساً للكنيسة قبل سيامة « السبعة » كان رئيس الاجتماع الافخاريسي ، الذي كان الرسل فيه مساعدين . وقد تنازل عن رئاسة الاجتماع الافخاريسي للرسول يعقوب ، وبالتالي تنازل عن رئاسة الكنيسة الاورشليمية . وذلك باعطائه السبعة خدمة الموائد فأخذ بطرس والرسل على عاتقهم خدمة كلمة الله وبقوافي كنيسة اورشليم يساهمون في اجتماعهم الافخاريسي ، ولكن لم يكونوا يمارسون خدمة الرئاسة حق ولا خدمة الموائد .

على المترئس ، او لئك الذين يرئسهم الرئيس . لقد رأينا سابقاً ان اعضاء الاسرة او اعضاء الاخوية كانوا يساهمون مع رب العائلة او رئيس الاخوية في الموائد اليهودية فلم يكن فرق بين الرسل وبين بقية المؤمنين في درجة اشتراكهم في الاجتماعات الافخارистية في كنيسة اورشليم عندما كان بطرس الرسول المترئس فيها . وكان الفرق بين الرسل وبين سائر المؤمنين يقتصر على المكان الذي كان يشغله او لئك . اما المكان فيعني الخدمة ، والخدمة تنحدر من اراده الله . والمترئس الذي يقدم «الشكرا» كان يتميز بمكانه الذي كان مركزاً ، بدونه لم يكن يستطيع ان يحرى الاجتماع الافخارستي نفسه . فقد كان مكان المسيح في العشاء السري . والمترئس بشغلة مكان المسيح في العشاء السري لم يكن ليحل محل المسيح ، اذ ان المسيح لا احد يشغل مكانه . فمكان ابن الله وخدمته لا يستطيع امرؤ ان يشغلها . وهو بنفسه يحضر على «مائته» مع اصدقائه .

وكان الكهنة يشغلون الامكنة الاكثر شرفاً بعد مكان المترئس ، وذلك في زمان الرسل وفي الكنائس التي اسسواها . وكان مكانهم تعبيراً عن خدمتهم التي كانت خدمة رعاية شعب الله ، معاونين بذلك المشرف على الكنيسة . ولم يكن القسيسين يتميز عن بقية المؤمنين ساعة اقامته المترئس لسر الشكر . لانه كان يشارك المترئس مع الشعب كله ، كما كان يشترك كل عضو من اعضاء الكنيسة . ولكنه كان يتميز عن سائر الاعضاء بالخدمة التي لم تكون للآخرين . وقد عبرت عن نفسها بمكانه الخاص في الاجتماع الشكري . وكان يظهر هذا الفرق فقط بالعلاقة مع العمل الليتورجي في الوقت الذي كان يرأس فيه الاجتماع الافخارستي بأمر من رئيسه ، مكملا بذلك «الشكرا» . وعند ترؤسه الاجتماع كان يشاركه في الخدمة بقية الاعضاء والكهنة . ومن الضروري ، ايضاً للامر ، ان نشير مرة أخرى الى وضعية القسيس في الاجتماع الشكري في

الكنيسة الناشئة . فهو ، ككل اعضاء الكنيسة المحلية ، يخضع لرئيس الكنيسة ، وعندئذ يكون مساهماً في اقام سر الشكر عندما يقوم به الاسقف وحده . فلا يختلف الحالة هذه عن بقية الشعب ، ولكنه يتميز عنه بتمتعه بخدمة خاصة ، وبحكم هذه الخدمة يستطيع بتكليف من الاسقف ان يرأس الاجتماع الشكري .

وللشمام مكانه الخاص في هذا الاجتماع كما بينا اعلاه ، وهذا المكان هو في الخدمة الخاصة التي يقوم بها عند اقام الاسقف سر الشكر . فهو « خادم » بالمعنى الضيق من هذه الكلمة ، ولكنه ليس « خادماً » بمعنى انه يشارك المترئس في الخدمة . وبالاضافة الى ذلك نقول ان الشمام « شريك » الاسقف في الخدمة كعضو في شعب الله الى جانب بقية الاعضاء .

فالخدمة في المعية تدخل اذن في طبيعة الاجتماع الافخاريسي ، وكذلك ترؤس شخص واحد الاجتماع . وكلامين تعبير عن خدمة شعب الله الكهنوتية . وعلى ذلك فاشترك شعب الله في الخدمة لا يعني تقسيم خدمة العمل الكهنوتي بين الاعضاء المترافقين ، اذ ان الخدمة الكهنوتية وغيرها من الخدم لم تكن موزعة بين اشخاص منفصلين في الكنيسة الرسولية والكنيسة الناشئة ، ولكنها كانت تم بصورة كاملة بواسطة الاشخاص الذين كانوا يدعون اليها .

واشتراك شعب الله الملتئم في الاجتماع الشكري لا يتطابق مع خدمة مترئسه مما يؤلف خدمات متباعدة لا يمكن ان تتدخل في بعضها ولا ان تتجزأ .

٧ - لقد اثبتنا ان اقام المترئس وحده سر الشكر بمشاركة شعب الكنيسة بأجمعه هو في طبيعة الاجتماع الافخاريسي نفسه . اما العرف

القائم الآن ، فبعدم اعترافه بمشاركة الشعب رئيسه مشاركة فعلية ، جعل طبيعياً مشاركة الكهنة للأسقف ، بمعنى مساهمتهم الفعالة في اقام سر الشكر . فالوضعية الحالية لا تبين بماذا وكيف يجب ان تحدد مساهمة الكهنة الفعالة عند قيام الاسقف بسر الشكر . فممارستنا الحاضرة تبدو اذن ثرة الخلق الليتورجي . فنتساءل فيما اذا كان هذا التفتح الليتورجي الخلاق موجوداً في سير التفتح الطبيعي في سر الافخاريستيا؟ وهكذا نعود الى السؤال الذي طرحناه سابقاً : هل تنقض الممارسة الحالية مبادئ الاجتماع الافخارستي الاساسية التي ما كدنا ننهي كلامنا عنها ؟

ان تلاوة «الشくる» خدمة خاصة تعود الى الاسقف . افيمستطاع هذا ان يقتسم هذه الخدمة مع شخص آخر سواء؟ ان الممارسة المتبعة في الكنيسة الان تسمح بذلك ، اي ان مشاركة الكهنة الاسقف ليست هي الا اقتسامه خدمة المترئس . واما كان الكهنة يساهمون فعلياً في خدمة تقديم الشكر ، ففي الاجتماع الافخارستي لا يقوم اذن واحد فحسب بل عدة مقدمين «بصلة الشكر» ، مما لا يتفق ولا بصورة من الصور مع طبيعة الاجتماع الافخارستي فاما يمكن ان يعني اقام عدة اشخاص «صلة الشكر» وبينهم اكبرهم سناعوضاً عن المترئس الوحيد؟ ايعني هذا ان اقام المترئس وحده «صلة الشكر» عمل ناقص الى درجة ما؟ ان طرح هذا السؤال يدل على (استحالته) «Absurdité» اللاهوتية . فهذا يمكن اذن ان يعني «اشترك» الكهنة في الخدمة؟ .

ان توسيع فكرة اشتراك الكهنة دخلت في الوقت نفسه عندما اظلمت فيه المعرفة اللاهوتية في التعليم عن مشاركة شعب الله لمترئسه . فأخذت مشاركة الكهنة مكان مبدأ مشاركة الشعب الاساسي . ولم يكن باستطاعة نقل مشاركة الشعب الى فئة متباعدة من الكهنة الا وان يلزمهها

بعض التشویشات في طبعة الافخاریستیا ، التي اصبحت في المعارف اللاهوتية سرًا من اسرار الكنيسة . اضف الى ذلك ان التعليم العقائدي المدرسي يقلل من قيمة التعليم الاولى المتعلقة بخادم الاسرار . فبظهور فكرة التقديم الخاصة بخادم السر اصبحت الاعمال الكهنوتية اعمال « تقدمة » فقط ، لا يشتراك فيها شعب الله الذي جمعه مع مترئسه . وهكذا تحولت الاسرار في التعليم العقائدي الكلاسيكي الى اعمال افرادية يقوم بها من حصل على هذه الامكانية . اما الشعب فلا يساهم في اقسام الخدمة نفسها . فالاسرار تم بدون شعب الله ، على حد التعليم المدرسي ، و اذا كان يقوم بها الاشخاص المؤهلون ، فيصبح اشتراك الشعب غير ضروري ، اذ انه لا يملك حق التقدمة ، فتصبح الافخاریستیا عملاً فردياً بصفتها سرًا في الكنيسة يقوم به المكرسون . ان هذا المفهوم يؤدي بدوره الى طمس فكرة الرئاسة . اذ ان هذه تفترض التعليم في اشتراك شعب الله عند القيام بالعمل الكهنوتي . و اذا كانت لفظة « مترئس » لا تزال محفوظة فان معناها قد تغير بالاساس . فالمترئس يبطل فعلياً ان يكون مترئس شعب الله الذي يخصه والذي يقوم بالعمل التقديسي بملئه كله في الكنيسة . وهكذا يكون قد سقط من مفهوم « الکلیسیا » (الكنيسة) عنصره الجوهری اي الاجتماع ، فليس ثمة من اجتماع بل هناك اعمال تقديسية يقوم بها رجال مكرسون . « فالاشتراك » القائم الان في الخدم الاهية ان هو الا نتيجة التعليم عن « الاشتراك » . فالكهنة بوجب الممارسة القائمة الان ، يساهمون فعلياً في اتم الاسرار عندما يشتراكون فيها ، والاسرار تستطيع ان تتکمل ، وهي تتکمل بالواقع ، بواسطة شخص مكرس واحد ، ولكن يمكن ان يقوم بها عدة اشخاص مكرسين . ففكرة « الاشتراك » المعاصرة تنحي اذن اشتراك الشعب اذ ان اشتراك الشعب بدوره ينفي فكرة الاشتراك المتبعة حالياً في الكنيسة .

٨ - و اذا نحن طرحتنا خارجاً الذهاب الى الحد الاخير في تحديد «اشتراك» الكهنة ، ونظرنا الى اشتراكهم كتعبير اكثراً فعالية لاشتراك الشعب ، ففي هذه الحالة ايضاً لا تستطيع فكرة الاشتراك المعاصرة ان تكون متأتية عن طبيعة الاجتماع الافخاريسية ، فماذا يبقى للكاهن عند الاشتراك ؟ لا يبقى له الا بعض العمل كمساعد وتلاوة بعض الاعلانات . ولكن الا يكون ذلك خلطاً في الخدمة ؟ الشمامس هو «الخادم» في الاجتماع الافخاريسية . اذاً ان ذلك هو جوهر خدمته . وخدمة الكهنة الليتورجية لا تقوم في كون الكاهن «خادماً» بل بكونه المترئس في الاجتماع الشكري . و اذا قام مقام «الخادم» عندما يتم الاسقف سر الشكر فهو يتمم في هذه الحالة وظيفة الشمامس وليس وظيفته . والاسقف اذا كان خادماً لسر الشكر ، يستطيع ان يخدمه دون الاستعانة بشمامس وكذلك الامر بالنسبة الى الكاهن . ان الافخاريسية لا تفقد بذلك صفتها «الكهنوتية المكملة» على حد تعبير ديونيسيوس الاريوباجي . فيخدمة الاسقف او الكاهن سر الشكر بدون الشمامس لا تقود الى الخلط في الخدم . فالشمامس مساعد في الخدمة الشكرية . ولكن الاسقف يستطيع ان يستغني عن المساعد . والخلط في الخدم لا يكون الا حيث تفرض الاعمال المساعدة على من يستطيع ان يقوم بالسر بكلامله ، هذه الاعمال التي تتالف منها خدمة الشمامس .

و اذا لم يكن لدى الاسقف او الكاهن القائمين بخدمة سر الشكر شمامس فكلامها لا يستطيعان ان يستندوا مهمتها الى القارىء او الايبودياكون ، لأن ذلك يؤدي الى خلط الخدم . ومثل هذا الخلط هو تلاوة الكهنة بعض الاعلانات عندما يشتراكون مع الاسقف في الخدمة ، فالاعلانات هذه على الاسقف نفسه ان يلفظها ولكن ايستطيع الاسقف ان يكلف الكاهن تلاوتها ؟ ان هذا الامر هو خلط غير واجب في الخدم والاسقف غير مطلق الصلاحية فيه . فهو لا يستطيع ان يوكل الى شخص ما

القسم الذي يعود اليه في الترؤس ، والافخاريستيا لا تفقد شيئاً من هذا النقل ولكنها يسيء الى خدمة الرئاسة . واذا كانت الافخاريستيا تبدو مكملة عندما يقوم بها اسقف واحد وكاهن واحد فهذا يعني ان المشاركة فيها غير موجبة . واذا كان الامر كذلك فمشاركة الشعب لا يمكن ان تكون تعبيراً فعالاً ويمكن ان تكون ثمة « مشاركة » للكهنة كما يمكن ان لا تكون . وهذا بالضبط ما يمكننا ان ندعوه بالنسبة الى « اشتراك » الشعب في الخدمة فبدونه لا يمكن ان يكون اجتماع افخاريستي لأن هذا هو الاجتماع الطبيعي لشعب الله الخاص . وهذا القول لا يقال بالنسبة الى المترؤس الشكري ، وذلك لأنه يحوي في ذاته دائماً المترؤس . ولكي نتأكد من ذلك يمكننا ان نرجع الى ترتيب الليتورجيا الحالية . فهو يعترف بكملين لها : المترؤس ( الاسقف او الكاهن ) بمساعدة الشمامس او بدونه والشعب . وكلما اطبقاً عمل الكنيسة<sup>١</sup> ولكننا غير واجدين فيها قطعاً مكاناً « لمشاركة » الكهنة . فالصلوات كلها يتلوها الاسقف او الكاهن باسم الشعب . والاسقف هو « فم الكنيسة » على حد تعبير ثيودورس الموسياتي<sup>٢</sup> ، والكافن عندما يقوم بسر الشكر يكون فم الكنيسة . ولكن « فم الكنيسة » يفترض وجود الكنيسة ، اي اجتماع شعب الله الذي يرفع « الشكر » بواسطة ممثله وليس الكنيسة كهيكل فارغ . والكهنة لا يمكنهم ان يكونوا « افواه الكنيسة » عندما يخدم الاسقف لأن فم الكنيسة واحد . ثم أليس في ذلك معنى كون الممارسة الليتورجية المتبعة الآن غير محددة بالضبط ما يستطيع الاسقف او ما يجب عليه ان يعطيه للكهنة المشتركين معه في الخدمة . وقد يكون

١ - لقد اشرت سابقاً الى ان الشمامس لا يتلو الصلوات .

٢ - A. Mingana. Woodbrooke Studies. Vol. VI, 1933. وقد جئت على ذكرها مستعيناً بمقالة B. Sauvé « الافخاريستيا في الكنيسة الاولى والممارسة المعاصرة » في مجموعة ( التقليد الحي ) ، باريس ، صفحة ١٨١ .

من الخطأ الفاحش ان نزعم ان الاسقف يستطيع ان يدع الكاهن «المشارك» له يتلو كلام الرب في العشاء السري و اذا كان لا يستطيع ان يوكله بتلاوته فبأي حق يمكن للملاك ان يتلوها في قلبه؟ و عليه ففكرة «المشاركة» القائمة الان لا اساس لها من الناحية الليتورجية.

و اذا كان لا يمكن ان نرتکن على ممارسة «الاشتراك» المتبعة الان ارتكازاً افخاريستياً فلا يمكننا بالاحرى ان نحتاج بها لثلا تخدم مبادئ الافخارستيا الاساسية . و عند ذلك لا يبقى امامنا الا اعتبار واحد في صالح «المشاركة» : فهي تعطي الخدمة الاهلية ابهة اكبر من غيرها. و منها كانت اهمية الدور الذي تدخله الابهات في الحياة الليتورجية فلها على كل حال حدود معلومة تماماً ، يبتدئ بعدها نقض مبادئ الافخارستيا الاساسية . اضف الى ذلك ان مفهوم الاحتفال يمكن ان يتباين و يتبدل من عصر الى آخر . فان مفهومنا في الاحتفال في الخدمة الاهلية لا يطابق مفهوم الكنيسة الاولى كما رأينا سابقاً . ونحن نعيز انتباها اكثر فاكثراً الى الابهة الخارجية التي ورثناها عن بيزنطية ساترين بها فقدان الابهة الداخلية . احقيقة ان الاجتماع الافخارستي لم يكن يجري باحتفال في الكنيسة القديمة؟ احقيقة ان ترتيب الخدمة الاهلية المكتوب في بروتوكول تسريتي هو غير احتفالي؟ أليس ذلك دليلاً على ما لم نكتسبه من وراء التوسع الليتورجي في فترة طويلة بل بالعكس على ما اضعناه من جوهرى؟ ثم أيمكن ان يكون هنالك اكثراً ابهة واحتفالاً من ان نرى الكنيسة كلها تجتمع في الاجتماع الافخارستي تحت رعاية الاسقف يحيط به كنته ، وهو يخدم وحده «الشكر» بمساعدة الشامسة شبيها بالمسيح الذي قام وحده بصلة «الشكر» محاطاً بتلاميذه؟ ان ابهتنا المعاصرة تبدو ارضية وارضية كثيراً اذا ما قيست بهذه الابهة . و يجب علينا الا ننسى ذلك «ليصمت كل جسد بشري وليقف بخوف وورع وليرك كل الاهتمامات الدنيوية» .

فالاسقف اذن يتمم سر الشكر وحده ، لانه وحده يمثل كنيسته التي تسلّمها من الله كنصيبه او ورائياً (القانون الواحد والعشرون في مجمع انطاكيّة ) وهو مثل طبيعي للكنيسته كما كان في الكنيسة القدية . وهو وحده دون غيره يقوم باقتباع اعضاء جدد في الكنيسة حيث كان يمثل ذلك جيداً في الاجتماع الافخاريسي وبدونه لم يكن من شيء يجري في الكنيسة . فمشاركة الشعب لمثله هي مشاركة اصيلة . اما «المشاركة» المتبعة الان فعلاقتها «بالمشاركة» الحقيقية ضعيفة . ونحن لا نستطيع ويجب علينا الا نمد ايدينا لنبدل ما قد وضعه المسيح والرسل ، ولكننا نقدر لا بل يجب علينا ان نحرر بدون انقطاع ممارستنا الليتورجية من كل نوع من انواع التراكمات التي تحدد قدميتها ، اكثر فأكثر وخصوصاً تحريرها من تلك التي تؤدي الى تقوية الحياة الافخاريستية بل الى اضعافها وطمسمها .



## الكافر خادم سر الشكر

١ - ان الاجتماع الشكري في الكنيسة القديمة كان اجتماع الكل تحت رئاسة شخص واحد . ونحن لا نعلم بالضبط تسمية الرئيس في عصر الرسل في الاجتماع الشكري . ولكننا نعلم ان المكان الاول فيه كان يعود الى شخص واحد . وقد كان الاجتماع الافخاريستي استمراً للعشاء السري الذي أتته المسيح قبل موته على الصليب بيوم واحد . وأخذ الرسل يقيمون هذا العشاء بعد تجريد معلمهم . اما مكانه فكان وحيداً وكذلك كان الشخص الذي كان يشغل هذا المكان . فالافخاريستيا الأولى تمها الرسل في اورشليم وكانتا يعلمون ، بصفتهم يهوداً ، ان الرئيس على موائدهم كان دائماً شخصاً واحداً معيناً . فكان رب البيت في الموائد العائلية وممثل الخلية « شابورا » على موائد هذه الخلائق . وعندما اخذت الكنائس المحلية تؤسس في العالم الوثني عندئذ كان يقوم بسر الشكر شخص واحد ، شاغل دائماً المكان المركزي في الاجتماع . فكان ذلك تقليداً ولم يكن باستطاعة بربانا وبولس تغيير هذا التقليد . وقد كان الاخير على كل الاحوال رجل تقليد كما بيتنا سابقاً ، ولم يكن تعلمه خاصاً به بل كان تعلم كل الكنيسة . فقد تسلمه من الرب بواسطة الرسل : « لاني قد تسلمت من الرب ما قد سلمته اليكم ... » ( ١١: ٢٣ و ٣: ١٥ ) . وهو لا يتكلم هنا عما كان قد تسلمه بطريقة مباشرة من

الرب في طريقه الى دمشق . فقد تسلم التقليد في العشاء السري من الرسل وعلى الارجح من الرسول بطرس الذي قضى عنده خمسة عشر يوماً (غلا ١٨: ١) . ولكن ما تسلمه من بطرس كان مصدره الرب ، و بتسلمه التقليد حول العشاء السري ، تسلم ايضاً التقليد في كيفية قيام الرسل بسر الشكر في اورشليم . واذا كانت كتابات العهد الجديد لا تقول مباشرة بأن متمم سر الشكر كان دائماً شخصاً واحداً بعينه ، فلا يُستنتج من هذا السكوت ان القائم بالسر كان يتبدل من اجتماع الى آخر . ان الكنيسة بصفتها جسمًا عضوياً كانت تحوي في ذاتها مبدأ التنظيم والرتب ، ولكنها بصفة كونها جسمًا حيًّا عائشًا بالروح القدس فهي تستمد هذا المبدأ من الروح القدس نفسه . وهي لا تضاد الروح بقوه التقليد لا بل تتفاعل بالروح ، « فناموس الروح » في الكنيسة الرسولية ينحصر في كون القائم بسر الشكر في الاجتماع الافخاريستي كان شخصاً واحداً لا يتبدل ، يعينه الروح لهذا الامر فبحكم هذا الواقع لسنا بحاجة لمعرفة اسم هذا الشخص ، فقد وجد في الكنيسة وكان ثابتاً في مركزه .

٢ - وكان يدعى مترنس الاجتماع الافخاريستي اسقفاً في اغلبية الكنائس في منتصف القرن الثاني . فنعلم بشهادة اغناطيوس المتoshبح بالله بأن الاسقف كان المتمم الوحيد لسر الشكر ، ونعرف بالإضافة الى ذلك انه لم يكن من الممكن ان تكون افخاريستيا بدونه . وكان باستطاعته ان يوكل اقامة السر الى شخص آخر وعلى الارجح الى القسس ، ولكن هذا الاسناد كان يحير في حالات استثنائية ، اي في غياب الاسقف او في حالة مرضه . ومن الصعب ان نتصور انه كان باستطاعة الاسقف في الحالات الأخرى ان يسند وظيفته الى القس ولو وقتياً ، وهو الذي دعاه الله اليها واقامه فيها ليقدم عطايا الكنيسة المقدسة كرئيس كهنة<sup>١</sup> .

---

١ - هيبيوليتوس رومية ، « التقليد الرسولي » ، ٣ .

ان الكنيسة برأي اغناطيوس الانطاكي ، كانت توجد حيث كان يوجد الاسقف ، فكان هذا القول تعبيراً عن وضع الاشياء الفعلية ، وليسحقيقة مجردة لا وجود لها في التطبيق . فكان المؤمنون يجتمعون كلهم سوية في الاجتماع الافخارستي تحت رئاسة اسقفهم .

وقد دخلت المسيحية في الريف في هذا الزمن تقريرياً . فلم يكون باستطاعة سكان القرى المسيحيين ان يساهموا في الاجتماع الافخارستي المقام في المدن لبعدها عنهم ، فبقيت الكنائس في القرى حيث كان يقام سر الشكر و كان القسم الاكبر من المدينة بعد الكنيسة – الام للكنائس الريف . ومع ذلك فقد نقع في خطأ تاريخي اذا ما ذهبنا بتصورنا بذلك الزمن السحيق ، واعتبرنا ان اسقف المدينة كان يرسل كهنته الى الكنائس القروية ليقوموا بسر الشكر . ذلك لأن الريف كان يؤلف مع المدينة وحدة قائمة بذاتها في زمن الرومان : فالمدينة « بوليس » كانت تشمل المدينة ، بالمعنى الذي نطلقه اليوم على هذه التسمية ، والقصبات الملاصقة لها . وبموجب هذا المبدأ التنظيمي كانت الكنيسة كنيسة متباعدة الاطراف يرأسها اسقفها . و المؤرخون ، الذين يقولون بتطابق التنظيم المدني مع التنظيم الكنسي في العصر الذي سبق مجمع نيقية ، عليهم الذين ينسوا هذا الواقع الذي يشهد على العكس . فقد تبعت الكنيسة التنظيم المدني عندما رأت حاجة في ذلك ، ولكنها تراجعت عنه عندما كان ذلك يمس تنظيمها الخاص . فالاسقف كان يرأس الكنيسة الريفية كما كان يرأس الكنيسة المدنية . ولم يكن غير ذلك ممكناً لأن لا اجتماع افخارستي بدون اسقف . وبعد ذلك اطلق على اساقفة الريف لقباً خاصاً فدعوا خور اسقف . وجرى ذلك في المنتصف الثاني من القرن الثالث تقريرياً . فكان الخور اسقف منذ البدء اسقاً شرعياً تماماً كاسقف المدينة ، يساهم في الجامع على قدم المساواة مع اساقفة المدن . اما العلاقات المتبادلة بين كنائس المدن و كنائس القرى الداخلة في بوتقها

(المدينة) الواحدة ، بالرغم من أنها كانت تحمل صفة أضيق بكثير ، فكانت تجري على نمط العلاقات بين كنائس المدن فيما بينها .

وإذا كان ثمة استثناءات في هذا الترتيب الأساسي ، فهي لا تنقضه ولا بحالة من الحالات . فنحن نعلم مثلاً أن الكهنة كانوا لمدة طويلة من الزمن على رأس الكنيسة المصرية ، وعلى الرغم من هذه الصفة الخاصة في نظام الكنيسة المصرية فإن هذا الشذوذ امته شروط ظرفية جعلت أسقف الاسكندرية يحمل وحده لقب أسقف لمدة طويلة من الزمن . فالكهنة كانوا بالواقع أساقفة ، وقد جرى ذلك في عدة أمثلة من العالم المسيحي .

٣ - لقد تأكدنا أعلاه بأنه كان يجري منذ البدء الاجتماع افخاريستي واحد ضمن حدود الكنيسة المحلية ومع ذلك فزيادة عدد الكنائس في المدينة من ناحية والاضطهادات من ناحية أخرى ، التي بقيامها كان من الخطير ان يجتمع الكل في مكان واحد ، كل ذلك دعا الى تجزئة الاجتماع الواحد في المدينة . ومن الطبيعي ان هذا النوع من التجزئة كان يجب ان يقع قبل ذلك في المدن الكبرى ، اذ لم يكن هنالك التزامات خارجية لتجزئة الاجتماع الافخاريستي الاسقفي في المدينة . وقد انضمت الى هذه الظروف الخارجية ظروف داخلية مرتبطة بتوسيع التعليم حول الكنيسة ، ذلك التعليم الذي لا يمكنني الان ان اتحدث عنه . وهكذا كان ظهور حق تتميم الكهنة سر الشكر وحدهم نتيجة تفاعل اسباب داخلية وخارجية .

اما مراكز الخدمة الالهية الاولية الكاملة في المدينة فلم يكن ينظر اليها كاجتماعات افخاريستية منفصلة بل كانت الى حد ما استمراً للاجتماع الاسقفي او توسعًا له . ومع ذلك فقد كان مثالياً في هذه المرحلة في تنظيم الكنيسة ان يكون الاسقف المتمم لسر الشكر ، بصفته مثل الكنيسة الوحيد . ولم يكن للكاهن من امكانية ليتمم سر الشكر

مستقلًا اذا لم يintel اذنًا خاصاً من الاسقف . وقد تميز توسيع التنظيم الكنسي بعد ذلك بكثير ، تميز بتوظيف الكهنة في مراكز الخدمة الالهية المحددة . وحدثت هذه التقوية قبل كل شيء في الكنائس الريفية ، وبعد ذلك اختصت بالمدن فقط . اما الخوراساقفة فقد اخذوا يختلفون باستمرار ، وحل مكانهم الكهنة الذين كانوا يرئسون الاجتماعات الشكرية في الكنائس الفردية تحت اشراف اسقف المدينة العام . وعلى هذا المثال ابتدأت تقوم مراكز للخدمة الالهية في المدينة ، فظهرت ضمن حدودها خورنيات كأجزاء مستقلة ، لها مراكزها الخدمية الخاصة ، ومنطقتها المحددة يضم اليها عدد معلوم من الاعضاء . وهكذا قام الساكن ينتمي السر الى جانب الاسقف رئيس الكنيسة المحلية . فكان ذلك احد التبدلات العميقية التي انتابت تاريخ الكنيسة . ولم يكن هذا التعديل في مبدأ تنظيم حدود الكنيسة فقط ، ولكنه تبديل تناول التعليم حول الكنيسة . فقد كان الوضع الاساسي في الاكلسيولوجية القديمة ينحصر في كون الاسقف هو المترأس في الاجتماع الشكري ، بصفته مثلاً لكتسيسته ، فظهرت في وحدة الاجتماع الافخاريستي وحدة الكنيسة المحلية الذي اشترط وحدة الاسقافية فيها . اما التعليم المعاصر فيعتبر كاهن الخورنة مترئساً لسر الشكر ، دون ان يعتبره رئيساً للكنيسة ، لانه ليس للساكن كنيسة . وهكذا لم يعد الاجتماع الافخاريستي دليلاً على وحدة الكنيسة المحلية ، واصبح التعليم عن سر الشكر مرتبطاً الى حد كبير بهذا الامر فهو سر في الكنيسة وليس سر الكنيسة نفسها ، لانه عندما كان متعمم سر الشكر الوحيد في حدود الكنيسة المحلية هو مثلاً ، كانت الافخاريستيا آنذاك سر الكنيسة ، وعندما جرت في داخل الكنيسة الاسقفية عدة اجتماعات افخاريستية خاضعة لسلطة اسقف واحد ، كان من المختىم عندئذ ان يصبح سر الشكر سرًا من الاسرار في الكنيسة بالمعنى العقائدي من الكلمة . فالتعليم عن الكنيسة

ابعد اذن عن اسسه الافخاريستية الاولية .

٤ - ان اقامة رئيس الكنيسة المحلية سر الشكر يستنتج من طبيعة السر نفسه، اذ يجب ان يتفق تنظيم الكنيسة مع المبادئ الافخارستية، وليس العكس. فالمشكلة المباشرة في هذا الامر، كما في كثير من الامور، تقوم في ان ننظر الى التنظيم الكنسي من وجهاً نظر لاهوتية صحيحة اكثر منه من ناحيته التاريخية المتبدلة . فعلينا ان نعود اذن الى المبدأ الافخارستي الاساسي في ادراكنا اللاهوتي لكي يكون متمم السر رئيساً للكنيسة المحلية . ان وجود الخورنيات في الكنيسة الاسقفية او بالاحرى في ابرشية الاسقف هو واقع في حياتنا الكنسية الحالية ، ومن الضروري ان نأخذ ذلك بعين الاعتبار . فهناك سيلان لتقرير تنظيمنا الكنسي الحالي من المبادئ الافخارستية : السبيل الاول يقوم في ان يعتبر الاسقف المتمم الوحيد لسر الشكر ، كما كان قبلًا ، والكهنة منتخبين من قبله لا غير ، وبموجب هذا الشرط يكون الاجتماع الافخارستي في كنيسة المكاهن امتداداً للجتماع الاسقفي . والنتيجة الطبيعية لهذه النظرة الى الخورنية قد يفقدها استقلالها الاداري والليتورجي الذي اكده المجمع الملتم في موسكو سنة ١٩١٧-١٩١٨ . وكان وحدة الاجتماع الافخارستي في الكنيسة الاسقفية كانت محفوظة بصورة مثالية فقط . لأنه وجد بالواقع عدة اجتماعات افخارستية ضمن حدود الكنيسة الاسقفية ومهما يكن من امر ، فان هذه الوحدة المثالية تشهد على حفظ المبادئ الافخارستية للاكتسيولوجية في الوعي العقائدي .

والسبيل الثاني يقوم ليس في اضعاف استقلال الخورنيات بل في تقويتها . فالخورنية الحالية تذكرنا قبل كل شيء بالكنيسة المحلية الاولية . ويجب ان يكون لها على الاقل اجتماع افخارستي واحد

يجتمع فيه كل اعضائها . وبانطلاقنا من كون القائم بسر الشكر هو نفسه رئيس الكنيسة ، يمكننا ان نعترف بكلنا الخورنية رئيساً للكنيسته وبموجب هذا المفهوم لا تكون الخورنية جزءاً من الابرشية بل تصبح كنيسة محلية . اما الابرشية فتبقى بدورها دائرة كنسية تتالف من مجموعة كنائس محلية كما كان الامر منذ البداية .

وموضوع كهذا يبقى في حدود المناقشة اللاهوتية . وهو موضوع لا مفر منه بعد ان اخذ بجمع موسكو قراراً فيه وفتح باب الخلاف بينه وبين التعليم حول الكنيسة ببحثه ما كان قد لوحظ في توسيع التنظيم الكنسي . فقد اعلن بجمع موسكو لأول مرة في تاريخ الكنيسة الارثوذكسيه بأن الكنيسة المحلية ، بصفتها وحدة كنسية ، تتجزأ الى ابرشيات . فكان ذلك فكرة جديدة تماماً بالنسبة الى العالم الارثوذكسي ، اذ ان الوعي الكنسي في بيزنطية كان يعتبر دوماً الكنائس الاسقفية وحدات كنائسية قائمة بنفسها ، تألفت منها المتروبوليتيات والبطريركيات .



## ٤

# اشتراك الكهنة في الخدمة

١ - ان ظهور الخورنيات كان له علاقة بنقض مبدأ التعليم الاساسي في الكنيسة الاولى حول الاجتماع الشكري الواحد ضمن الكنيسة الاسقفية ، وقد جر وراءه نقضاً تاماً للاسس الافخاريستية الاخرى في الحياة الكنيسة. فالاجتماع الافخارستي في كنيسة الرعية يجب ان يبقى اجتماع اعضاء الخورنية جميعهم حول الذبيحة . واذا نقض هذا المبدأ في حياة الكنيسة الخورنية ، فان سبب ذلك يقع ليس فحسب على نظام الحياة في الخورنية ولكن في ان مبدأ « الكل سوية » زال من الضمير الكنسي . ومن الطبيعي ان هذا المبدأ لا يمكن ان يكون له معناه الكامل في التنظيم الخورني ، لأن الاجتماع الافخارستي في الكنيسة الخورنية يستطيع ان يضم اعضاء الخورنية وليس اعضاء الكنيسة المحلية كلهم . ان كاهن الخورنية الذي اقامه الاسقف، هو رئيس هذه الخورنية فيستطيع لا بل يجب ان يكون اذن المترئس الوحيد في اجتماع الخورنية الافخارستي . فالعادة السائدة اليوم بأن يقوم عدة كهنة باقامة سر الشكر ، « اي مشاركة » عدة كهنة لkahen آخر ، ان هي الا عبث ليتورجي .

وعندما اخذ الكاهن او لا يقيم سر الشكر باذن من الاسقف كان

يقيمه وحده بمساعدة الابوذياكون او الشهاس . فلم يكن من مشكلة في اشتراك الكهنة . فالكهنة الذين لم يكن يرسلهم الاسقف لاتمام سر الشكر في مراكز الخدمة الالهية الاضافية ، كانوا يبقون في الكنيسة الاسقفية . وكانوا يجلسون في امكانتهم عند اتمام الاسقف سر الشكر . و اذا حدث ان قدم الكاهن او الكهنة الى كنيسة يخدم فيها كاهن انتدبه الاسقف ، فان هذا الكاهن كان يقوم وحده بسر الشكر دون الآخرين . اما بقية الكهنة فكانوا يساهمون في سر الشكر كما كان يساهم الشعب كلها . وكانوا يتناولون الاسرار من يد خادم السر وليس من تلقاء انفسهم . اذ ان هذا كان يتناول بعد تبريك الخبز والكأس ، وبعد ذلك يوزع القرابين مباشرة بنفسه او بمساعدة الشمامسة ، كما اخذ المسيح الخبز في العشاء السري وكسره بعد الشكر ووزعه وبارك الكأس بعد ذلك وناولها الى تلاميذه . وكانت الرتب تحفظ في ترتيب اعطاء القرابين . ان متمم سر الشكر كان يشغل مكان المسيح في العشاء السري . وبما ان هذا المكان وحيد فهو وحده الذي يأخذ القرابين لنفسه . و اذا ما ساهم الاسقف في اجتماع افخاريستي يرأسه احد الكهنة ، كان عليه ان يتناول القرابين من يد الكاهن الخادم ، لأن الكاهن في هذه الحالة يكون شاغلاً مكان المسيح والاسقف . وقد كان الاسقف يستطيع في حضوره ان يدعو اسقفاً آخر ليقيم سر الشكر ، اذا وجد في كنيسته بصفة ضيف ، فقانون بجمع نيقية الثامن عشر عندما نص على ترتيب المناولة انطلق من القول بأن الاسقف هو المتمم لسر الشكر ، وآباء الجمجمة النيقاوي لم يكونوا قد استدركوا الحالة التي كان يرأس فيها الكاهن الاجتماع الافخارستي الذي كان الاسقف مساهماً فيه . فلم يكن باستطاعة الاسقف في الكنيسة الاولى ان يتناول القرابين من يد كهنته ، لأن هؤلاء لم يكونوا يخدمون السر بحضوره .

٢ - «ان كهنة الريف لا يستطيعون ان يقوموا بالخدم الالهية

( وخصوصاً تقديم القرابين ) في الكنيسة الاسقفية بحضور الاسقف او كهنة المدينة ، فلا يعطون لا الخبز ولا الكأس وقت الصلاة . ولكن في حين غياب الاسقف والكهنة يدعى كاهن الريف وحده لاجل الصلاة والتناولة » . (القانون الثالث عشر من قوانين مجمع قيصرية الجديدة) . ان هذا القانون هو من الامور بمكان كبير بالنسبة اليه ، لأنه يؤكّد ما قلته سابقاً فيما يتعلق باقام الكاهن سر الشكر بحضور الاسقف . ان هذا المجمع التام على اكثـر ما يكون قبل المجمع النيقاوي ببعض سنوات . وسأتوقف عند امر لا يشير اي جدال زيادة للايضاح : لقد منع المجمع كاهن القرية ان يتم سر الشكر اذا وجد في الاجتماع الافخاريستي اسقف المدينة او كهنةها . يفهم من ذلك ايضاً ان هذا المنع يشمل ايضاً كاهن المدينة ، فلا يقيم السر بحضور اسقفه . فهو ، بالرغم من كونه لا يبيّن لنا الاسس التي قام عليها ، واضح تماماً بالنسبة لنا . فاقام كاهن القرية سر الشكر بحضور الاسقف او كهنة المدينة شيء لا يسمح به لان الكاهن كان ينادهم القرابين الاهية عندما كان يخدم السر . وعليه فكاهن القرية يستطيع ان يقوم بسر الشكر اذا ما غاب الاسقف او كهنة المدينة عن الاجتماع الافخاريستي .

ثم ان المجمع نفسه الذي حرم على كهنة القرية ان يقوموا بالتناولة في كنيسة المدينة سمح للخواراسقف بذلك عندما يحضر الاجتماع الشكري اسقف المدينة او كهنهما<sup>١</sup> وقد اثبتت عدة مرات بأن اسقف الكنيسة المحلية كان يدعو ضيفه اسقف مدينة اخرى ان يقوم بسر الشكر جرياً

١ - القانون الرابع عشر من مجمع قيصرية الجديدة وهذه ترجمته بحسب ترجمة «كتاب القوانين» : اما الخواراسقف الذين اقيموا على مثل السبعين رسولًا ، لانهم كانوا يشاركون الاسقف ، فيقومون بالخدمة الاهية في كنيسة المدينة ...» الترجمة غير دقيقة ولكن معنى القانون لا ينقص لعدم دقة الترجمة وعليه فلا ارى من الواجب ان اقدم هنا ترجمتي الشخصية .

على عادة كانت منتشرة مقبولة من الجميع . وبوجب ذلك يطرح السؤال لماذا اعتبر مجمع قيصرية الجديدة من الضروري ان يحرم ذلك على كهنة الريف ؟ لقد كان اسقف الريف يمتاز في البدء ، كما يتبيّن اعلاه ، عن اسقف المدينة بأن كرسيه الرعائي لم تكن في المدينة ولكن في القرية ولم يكن بينهما من فرق غير ذلك . فكل الكنائس الريفية الكائنة في القرى التابعة للمدينة من الناحية الادارية ، كانت تتعلق بكنيسة المدينة ، مركزها وكنيستها – الام . ولم يكن لهذا التعلق من صفة حقوقية منذ البدء ، ولكنه كان تعبيراً عن المحبة القائمة بين الكنائس المحلية . وقد ضعفت العلاقة بين كنيسة المدينة وكنائس القرى في نهاية القرن الثالث ، وخصوصاً في بداية الرابع ، وتبدل ، فدخلت ( الكنائس القروية ) في مرحلة وجوب خضوع الخوراساقفة لاسقف المدينة ، فأصبح اسقف الريف اقل قيمة من اسقف المدينة الى حد ما . وبجمع قيصرية الجديدة ، الذي يوضح بأن اساقفة الريف مقامون على صورة السبعين رسولأ ، يفترض بأن اساقفة المدن مقامون على صورة الرسل الاثني عشر . ومع ذلك فان اسقف الريف أصبح ايضاً في القرن الرابع اساقفاً حقيقياً اذ شهد بذلك مجمع قيصرية الجديدة نفسه فيدعو اساقفة القرى « مشاركين في الخدمة » ٢٠٥٨٨٤٢٥٧٥٣

« Sillitourgi » مريداً بذلك انهم كانوا يقيمون نفس الخدمة التي لأساقفة المدن . ويكتننا نحن بالاستناد الى قانون مجمع قيصرية الجديدة الرابع عشر ان نستنتج بأنه كان يوجد شك في القرن الرابع حول الاستحقاق الاسقفي الواجب للخوراساقفة . ويفسر هذا باصدار المجمع قانوناً خاصاً يبحث في اقامة الخوراسقف سر الشكر في كنيسة المدينة فكان يستطيع ان يتمم سر الشكر وله خدمة اسقف المدينة بعينها من توزيع القرابين على الاساقفة والكهنة . ويفهم من ذلك بحكم الطبع ان لفظة « شريك في الخدمة » التي يستعملها الجمجم في كلامه عن اسقف القرية لا تدل على

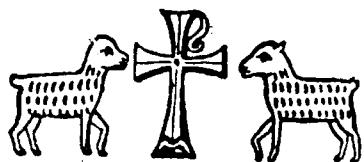
انه كان يستطيع ان « يشارك في الخدمة » اسقف المدينة بحسب مفهومنا الحاضر . ولو افترضنا ان « الشركة في الخدمة » بمعناها كانت موجودة في القرن الرابع ، فلماذا لم يكن يستطيع اسقف القرية او كهنة الريف ان يشاركون اسقف المدينة في الخدمة ؟ ولم يكن ثمة حاجة ان يصدر قانون خاص اذ ان ذلك واضح بحد ذاته . فالقانون الثالث عشر والرابع عشر من مجمع قيصرية الجديدة هما شاهدان على ان فكرة « الشركة » في الخدمة بمعناها كانت مفقودة تماماً من الضمير الكنسي في القرن الرابع .

٣ - و اذا ما اخذنا « الشركة في الخدمة » بالمعنى القائم الآن فنحن نستطيع ان نأخذها بتحفظ كبير فيما يتعلق بالاسقف وبكهنة كنيسته . ولكن لا يسمح ابداً ان تؤخذ « الشركة في الخدمة » وتطبق على الكهنة المترکين في الخدمة الالهية . ففي الكنيسة القديمة كان الكهنة يؤلفون طفمة كهنوتية تحت رعاية الاسقف ، وكانوا يجلسون في كراسيمهم ساعة قيام الاسقف بسر الشكر يحيطون به . واخيراً اخذوا يقتربون من المذبح محافظين على وظائفهم السابقة . ان فكرة « شركة » الكهنة في الخدمة أخذت بصورة آلية عن الاساقفة وطبقت على الكهنة . فليس من مكان للكهنة خصوصاً عندما يخدم السر كاهن واحد ، لانه من الصعب جداً تحديد ما يجب تحديده عن « اشتراك » الكهنة في الخدمة وكيفية ذلك .

و اذا كان النظام الكنائسي الراهن يسمح بوجود عدة كهنة في المؤورنية الواحدة ، فان واحداً من هؤلاء فقط يقوم بال تمام سر الشكر ، اما البقية فيساهمون ويشاركون اشتراك الشعب فيه بالمعنى الحقيقي من هذه الكلمة . ولذلك يجب عليهم ان يتناولوا القرابين من يد الكاهن الخادم للسر . و اذا كانت وضعية الكاهن صاحب الرعية يمكن ان

تكون موضوع جدال في نظامنا الكنسي ، كا اثبتت ذلك اعلاه ، فأنه لا يمكن ان يكون جدال حول موضوع كيفية قيام الكهنة بالمناولة حينما يخدمون السر . فكلهم بدون استثناء يتناولون القرابين من يد الكاهن الخادم ، لأن لا يمكن ان يكون احداً أعلى منه في الاجتماع الإفخارستي عندما يقوم بسر الشكر . ونحن يجب علينا الا نهدم الترتيب الذي وضعه السيد في العشاء السري . فالاسقف يتم سر الشكر ويحيط به الكهنة الموجودون معه ( وبالرغم من كل التبديلات فإنه يبقى المتمم الوحيد للسر في كنيسته ) . وهم يخدمونه كما يخدمه كل الشعب الذي تسلمه من الله وهم يسكنون عندما يسكن الشعب لأن الاسقف هو « فم الكنيسة » . وهو لا يزيل الفروق الرتبية بينهم وبين بقية اعضاء الكنيسة . فهذه تبقى لأن الكاهن يستطيع ان يتم سر الشكر بموافقة الاسقف . مما لا يستطيع ان يفعله اي فرد من افراد الشعب . واذا دعا الاسقف الكاهن ليتم سر الشكر بحضوره لسبب من الاسباب ، فإنه يتنازل له عن مكانه في الاجتماع الإفخارستي ، ذلك المكان الذي شغله السيد في العشاء السري ، وبعمله هذا يدعوه بحكم الطبيع ليقوم بالسر ليس جزئياً ولكن كلياً ، ويتناول وبالتالي القرابين من يديه . وعندما يتلو الكاهن صلاة الشكر على الجبز ويكسره ويبارك الكأس عند ذلك يفرقه على كل المساهمين في الاجتماع . واكمل ثانية فأقول بأنه لا يمكن لأحد ان يتناول القرابين رأساً عن المائدة ، الا من يكون قد تلا صلاة الشكر . وتغيير ذلك يعني ادخال الفروق الانسانية حيث لا محل لها . اما الفروق الخدمية فقد اوجدها الله . والفرق بين خدمة الاسقف وخدمة الكاهن يكون في ان الاول يرأس الاجتماع عندما يساهم فيه . وحفظ الفرق بين الاسقف والكاهن عندما يتم هذا سر الشكر بحضور ذاك لا يستخلص من الفرق في الخدمة . وعندما يكلف

الاسقف 'الكاهن' ان يتلو « صلاة الشكر » يكون قد كلفه بأهم شيء وارفعه شأناً ، ولذلك فهو لا يستطيع ان يحتفظ لنفسه بشيء يحوي في ذاته « شكرأ ». فالاسقف غير الخادم ، وكذلك الكاهن ، يتناولان كلابها القرابين من يد الكاهن الخادم عندما يساهمان في الاجتماع الافخاريسي . ولكن أيمكن ان تحصل المساهمة في سر الشكر بدون المناولة ؟ إنها القضية الأخيرة التي تتطلب تمحيضاً في دراستي هذه .



الفصل الثالث

المناورة

## ١

## شركة جسد المسيح ودمه

١ - ان المناولة تميزت في مارستنا الليتورجية المعاصرة ، والى حد ما ، بكونها عملاً منفصلاً . فاقام الافخاريستيا لا يرتبط بالضرورة بمناولة المؤمنين . أليس في ذلك دليل صارخ على ما يجري في بعض الخورنيات حيث تنقسم الليتورجية من جهة الى القدس الاهي فقط ، ومن جهة اخرى الى القدس الاهي تتبعه مناولة الصائرين ؟ لقد دخلت الكلمة « التعبد والصوم » في العادات الروسية الدينية . فهي تدل من جهة على ان المناولة تتطلب استعداداً خاصاً من صوم وتشدید على الخدم الكنسية الزهدية ، ومن جهة اخرى تشهد على ان الاستعداد للتقوى عمل خارق في حياة المؤمنين الكنسية . تقوم المناقضة هنا على ان العادة في التقوى تتناقض مع طبيعة سر الشكر . لا شك بأن المناولة عادة تقوية ممتازة . واذا حدث ان بهذه الحياة الليتورجية ونهايتها قد فقدا ، في مكان ما فيكون ذلك اكثر ما يكون في هذه النقطة . عندنا بالواقع ذبيحة الاهية بدون مناولة المؤمنين ، وذبيحة الاهية يتناول فيها قسم من المؤمنين دون القسم الآخر ، كما انه قد لا تجري الذبيحة الاهية عندما يتناول المؤمنون كلهم سوية .

من المؤكد اننا لا نستطيع ان نعتبر ان لدينا ثلاثة انواع في الذبيحة

الاهية ، فالافخاريستيا واحدة ويشهد على ذلك طقسها الواحد، ولكن لدينا بدون شك حالتان بالنسبة الى المؤمنين في الاجتماع الافخارستي. الحالة الاولى يتناول فيها المؤمنون ، وفي الاخرى يحجمون . اما في الكنيسة الاولى فقد كانت المناولة عملاً مكملًا لكل اجتماع افخارستي لا يمكن ان ينقسم ، او يؤلف عملاً مستقلاً بذاته . فقد كان يتناول كل من يساهم منذ البدء في الاجتماع الافخارستي ، ولم يكن يساهم في الاجتماع الافخارستي الا الذين كانوا يتقدمون الى المناولة الاهية . لقد زالت ناحية الاجتماع من ممارستنا الليتورجية . فلم يبق عندنا اجتماع افخارستي بالمعنى الحصري من الكلمة . اذ انه انحصر في طقس خاص اطلقته عليه تسمية القدس الاهي . وهو يتطلب مساهمة الشعب ، ككل خدمة الاهية طقسيه ، ولكن اقامه لا يُشترط بهذه المساهمة . وهو يحتوي على معنى كلي قائم بذاته ، لا يرتبط ولا بمحالة من الاحوال بمساهمة الشعب . اما الذبيحة الاهية المقامة في القدس الاهي فقد تحولت الى سر من اسرار الكنيسة ، وضع الى جانب بقية الاسرار . فبرز في الوجود عمل سري مكان لا هوتنا الافخارستي الكلاسيكي ، وهو لا ينطوي ابداً على اجتماع المؤمنين كعنصر ضروري له ، كما يجري في بقية الاسرار . ان الافخارستيا تنتمي الى فئة الاسرار التي تعاد بعكس سر المعمودية ومسحة الميرون والكهنة ، وهي تقام للذين يتمهئون لها او الذين يشعرون بحاجة اليها . وذلك فنهم من يتناول وقت القدس الاهي ومنهم من يمتنع والذين يتناولون يصبحون مساهمين في جسد المسيح ودمه كما يدل على ذلك لفظ «المناولة» نفسه . اما الاعضاء الآخرون فيحضرون فقط ساعة المناولة . وهم يزعمون انهم يشتراكون في سر الافخارستيا ، دون ان يتقدموا الى المناولة . فكيف يكون ذلك وقد قال المتروبوليت مكاريوس : «ان الافخارستيا هي ذلك السر

الذي يشترك فيه المؤمن ، تحيط صورة الخبز واللحم ، بجسد مخلصه ودمه الحقيقيين »<sup>١</sup> . ان الوضع الاساسي في حياة الكنيسة الاولى قد تفكك فانقلب القول المأثور : « الكل دائماً وسوية » الى قول مناقض له : « ليس الكل وليس سوية » وانما كل واحد لنفسه وبعزل عن الآخرين.

٢ - وليس ثمة صلوات في القانون الافخاريستي يمكن ان تدعوا غير الذين يتقدمون الى المناولة او يمكن بعد ذلك ان نشترك في الصلوات الافخاريستية الموجهة كلها الى المناولة نقطة الاوج فيها ، دون ان نتقدم اليها . اننا لا نفكر غالباً في هذا الامر ، وباتباعنا العادة السائدة لا نشعر بأسانتها الافخاريستية ، هذه المأساة تشتد بكون الشعور الليتورجي القويم يبقى التعليم حول اقام الاسرار بواسطة الكنيسة كلها ، ففي كل سر تصلي الكنيسة لانتماه . اما في الافخاريستيا فتصلي لاجل ذاتها ، اي لاجل شعب الله كله الملتم مع رئيسه للمساهمة في مائدة الرب . لا يمكن ان نعتبر « المناولة الروحية » مخرجاً من هذه المأساة الافخاريستية ، فهذه المناولة غير واضحة وغامضة ، وفوق ذلك فالكنيسة لا تساندها . فماذا تعني اذا « المناولة الروحية » ، ان الافخاريستيا هي « ذبيحة روحية » ( بطر ٢ : ٥ ) . والاجتماع الافخاريستي هو المكان الذي يوجد فيه الروح عملاً في دهرنا الحاضر . وكل شيء يتم في الاجتماع الافخاريستي بواسطة الروح القدس وبالروح ، وفي الروح تصبح الافخاريستية تتمة للعشاء السري ، وفي الروح وبالروح يتم حضور الرب فيها ، وفي الروح وبالروح نصبح نحن مساهمين في جسد المسيح ، وفي الروح وبالروح يتتحول الخبز واللحم الى جسد المسيح ودمه . فماذا تعني بعد ذلك « المناولة الروحية » ؟ انها بدون شك تختلف عن المناولة الحقيقة لأن المؤمنين

---

١ - المتروبوليت مكاريوس : اللاهوت العقائدي الارثوذكسي . مجلد ٢ ، صفحة ٣٦٧ ، طبعة بطرسبرج .

الذين يتناولون روحياً لا يتوصلون الى القرابين الافخاريستية او يمكن ان تكون عملاً خاصاً للروح القدس؟ و اذا كان الأمر كذلك فالمناولة الروحية أعلى اذاً من المناولة الواقعية . وبادخالنا مفهوم المناولة الروحية ألا ندخل بعض السر الاغنوسطي في الكنيسة؟ ألا يدل ذلك على ان فكرة المناولة الروحية كان قد أدخلها اوريجانس، على ما يظهر، وان كان بمفهوم مختلف عن المفهوم الذي أدخل في الوقت الحاضر؟

و اذا ما نظرنا الى «المناولة الروحية» بثابة اشتراك روحنا في المائدة السيدية أفلأ يكون ذلك روحنة غير ضرورية للافخاريستيا، لا علاقة لها بمواهب الروح القدس؟ اننا لا نزال الى الان نبتدىء القانون الافخارستي بنفس الكلمات التي كان يبتدىء فيها في الكنيسة الاولى في كل اجتماع افخارستي . «اتباعاً للقانون والأنبياء ورسائلنا واعمالنا واجيلينا ليبقى وضع الايدي قائماً معلناً الكنيسة بقولنا : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن مع جميعكم»<sup>١</sup>. ان نعمة الرب ومحبة الله الآب وشركة الروح هي شرط لمساهمتنا الحقيقية في الافخارستيا ، و اذا كان يوجد مناولة عبر انفسنا أفلأ يمكن ان تغير هذه بالاجمال «شركة» جسد ودم المسيح، او على الأقل تجعلها غير ضرورية؟ ولكن عندئذ لماذا لم يؤسس المسيح المناولة الروحية؟ وبعد ان أخذ يسوع وبارك، كسر واعطاهم وقال: خذوا . هذا هو جسدي . وبعد ان اخذ الكأس وبارك اعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم و قال لهم: هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يهرق عن كثيرين ( مر ١٥ : ٢٢ - ٢٤ ) . او يمكن على الأقل ايضاً ان نجعل نصيباً «للاتي دور» (للبروتوكول) في سر الشكر . ان فكرة البروتوكول التي تعني حرفيآ « محل القرابين » غير منتظرة ابداً في حياة الكنيسة الافخارستية . فان بلسمون كتب في

---

١ - القوانين الرسولية ٨ ، ه الترجمة الروسية ، صفحة ٢٥٦ - ٢٥٧ .

القرن الثاني عشر ، بشيء من الواقعية البسيطة التي كان يمتاز بها ، بأن توزيع البروتي ادخل الى الكنيسة ليقتنعوا المؤمنون بالبقاء في القدس الاهلي الى النهاية ، اذ ان اشتداد عادة المناولة القليلة كانت تدفعهم الى الخروج قبل الانتهاء من القدس . وهو يقول : «يبدو ان توزيع البروتي عمل به ، بحسب القانون الثامن والتاسع من قوانين الرسل والقانون الحالي ( اي القانون الثاني من مجمع انطاكية ) ، ليتمكن ان يبقى الى نهاية القدس الاهلي او لئن الذين لم يكونوا يستطيعون ان يشتراكوا في الاسرار المقدسة الحية وللأخذوا من يد الكاهن خادم السر هذه ( البروتي ) مكان تلك »<sup>١</sup> . فشرح بلسماون هذا يكاد يكون صحيحاً اذ ان ايبوليت اسقف رومية يذهب مذهباً اقرب الى الواقع اذ يقول بأن اختفاء ( الاغاثي ) مائدة الحبة من الحياة الكنيسة عُبر عنه في الاucharisستيا بطريقة غير مرتبطة : اذا كان الاسقف يشارك في الموائد الحية هذه فإنه كان يبارك الحبز الذي كان يوزعه على المساهمين في المائدة . فكان الحبز هذا خبزاً مباركاً <sup>٢</sup> Evlogia « . والبروتي هو ايضاً خبز مبارك نستطيع ان نعيده فيه كلمة ايبوليت : « هذا خبز مبارك وليس بسر الشكر جسد المسيح »<sup>٣</sup> . اما في القرن الخامس عشر فان سمعان التسالونيكي كان يعتبر ان البروتي تعطى مكان المناولة ، وذلك لأن ليس كل المؤمنين مستحقين للمناولة<sup>٤</sup> . واما كان ايضاح بلسماون ينقصه النظرة التاريخية وان كان بالاساس صحيحاً فان شرح سمعان التسالونيكي لا يمكن قبوله ابداً ، فهو يأخذ بتجزئة اعضاء الكنيسة الى فئتين : المستحقين للمناولة وغير المستحقين لها ، وفوق ذلك فهو يدخل فكرة لا يسمح بها ابداً وهي ان القرابين الاucharisستية يمكن ان

١ - بلسماون : تفسير القانون الثاني من مجمع انطاكية .

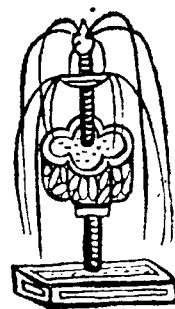
٢ - ايبوليت رومية ، التقليد الرسولي ، ٢٦ .

٣ - الارشمندريت كبريانوس كيرن ، « الاucharisستيا » باريس ١٩٤٧ ، ص ٣٣٨ .

يستعاض عنها بشيء ما .

٣ - والمسألة لم تثر في ضمير الرسل الكنسي ، حتى ولا في زمان ما بعد الرسل ، فيما اذا كان يمكن او لا يمكن لأعضاء الكنسية ان يساهموا في الاجتماع الافخاريسي . فصيرورة الفرد عضواً في الكنسية كانت تعني المساعدة في الاجتماع الافخاريسي ، والدخول في الكنسية كان يجد تحقيقه في الاجتماع الافخاريسي ولذلك فالدخول في عضوية الكنسية كان يتم قبل القدس الاهي ، الذي كان يساهم فيه بالدرجة الاولى المستنيرون . وقد كانت توجه اليهم الكلمات : « انت الذين بال المسيح اعتمدتم » . ان هذه الكلمات كانت تحفظ آنئذ بمعناها العميق ، فقد اعتمدوا بال المسيح ولبسوه ولذلك فهم مستحقون لأن يشتركون في الاجتماع الافخاريسي . اما الذين لم يكونوا يستطيعون ان يساهموا فيه فلم يكونوا يعتبرون اعضاء الكنسية او على الاقل لم يكونوا كذلك الى وقت معين . لا يتكلم بولس الرسول عن عدم استحقاق اعضاء الكنسية او عدم استحقاقهم كشرط اساسي للمشاركة في الاجتماع الافخاريسي ، بل كان يتكلم عن عدم استحقاق أكل القرابين الافخاريستية . فأي انسان أكل خبز الرب او شرب كأسه وهو على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الرب ودمه ( ١ كور ١١ : ٢٧ ) . تدل كلمات بولس الرسول في العدد ( ٢٩ ) من الرسالة نفسها : « اذ لم يميز جسد الرب » على الذين لا يميزون في الموائد بين الخبز الاعتيادي وبين القرابين الشكرية . فقد وضع بولس الرسول نصب عينيه بالدرجة الاولى عدم استحقاق الاكل على الموائد ، والاقتراب غير اللائق من الخبز الافخاريسي ، الذي كان يحليب بالطبع عدم الاستحقاق الشخصي والمحاكمة . لم يكن من الممكن ان يتناول الكلام ضرورة المناولة او الواجب المسيحي فيها ، كما يجري اليوم في وقتنا الحاضر ، فلم يكن ذلك لا واجباً ولا زاماً ، ولكنه كان حاجة حيوية كتعبير للرغبة في الحياة التي بدونها يتسلط الموت .

لقد كان المؤمنون يدخلون في الكنيسة ويعتمدون «في جسد واحد» لكي يصبحوا مساهمين في جسد المسيح ويسبقوا بذلك بمحىء الرب الثاني في المجد ، ويساهموا في مائته . ان حرمان ذلك كان مأساة عظيمة بالنسبة الى المؤمنين . ويكتفينا ان نذكر «الذين سقطوا» وقت الانطهاد والذين بحسب ضعف الطبيعة الانسانية لم يملكون من الشجاعة لأن يشهدوا عن ايمانهم بالرب يسوع . لقد كانوا يقبلون كل شيء للحصول على الشركة الأفخارистية التي كانوا قد حرموها ، ونحن لا نكاد ندرك تماماً لماذا اثار «الساقطون» اختلافاً في الكنيسة في زمن كبريانوس القرطاجي ، عندما لم يريدوا ان ينتظروا بعض الأشهر ليأخذ الجموع قراراً بمساهمتهم في سر الشركة . اما في وقتنا الحاضر فكثيرون هم الذين بملء ارادتهم يتنعون عن الشركة الأفخارستية مدة سنين طويلة .



## الاشراك في مائدة الرب

١ - ان الاucharisitica هي مائدة الرب التي يدعى اليها الجميع ، والتي تقام لاجل جميع المجتمعين سوية . والمساهمة في الاucharisitica تعني المساهمة في مائدة الرب ، ولكن المساهمة في المائدة تعني الأكل (منها) . لا يمكن ان يكون ثمة مشاركة في الاucharisitica غير هذه ولم يكن غيرها ابتداء من الاucharisitica الاولى التي أتمها الرسل بعد العنصرة . لقد كان ذلك « تقليداً » حافظت عليه الكنيسة الأولى بكل قواها ، وهكذا كانت الموائد السيدية في حياتها الأرضية ، وهكذا كانت الموائد اليهودية ابتداء من الموائد اليومية الى الموائد الاحتفالية الكبرى ، فلم يكن يشترك فيها الا الذين كانوا يأكلون الطعام ، اما الذين لم يكونوا يأكلون من المائدة فلم يكن باستطاعتهم ليس فقط ان يكونوا مشتركين فحسب ولكن لم يكونوا يستطيعون ان يحضروا فيها . كان المشتركون يحضرون في المائدة فقط ولم يكن ثمة حضور ابداً . وكان هذا امراً بديهياً حتى ان لم يكن من الضرورة ان يشار الكلام فيه بصورة خاصة ، والبرهان على ذلك اننا لا نجد ادلة مباشرة في الادب الربوني ، وبعد ذلك لم يكن احد يستطيع ان ينضم الى الموائد بعد ان تكون قد تمت « صلاة

الشکر » على الخبز كما كان يحرى في الأخويات وفي البيوت ، فمنذ تلك البرهة كانت تغلق الأبواب ، ومعنى ذلك ان لم يكن في البيت وعلى المائدة الا المشتركون . « فلما ذهبن ليبقين ، وقد جاء العروس ودخل مع المستعدلات الى العرس واغلق الباب » ( متن ٢٥ : ١٠ ) .

ان هذه التفاصيل المأكولة من مثل العشر عذاري ، أخذها المسيح من الحياة العادية . فلما كانت تقام المائدة كانت تغلق أبواب البيت ساعة الابتداء أما في الموائد الاحتفالية فان اكل الطعام كان يعرف بما نسميه في تعبيرنا المعاصر بالمقبلات ، وكان القسم الأكبر من المقبلات يؤكل وقوفا ، ولكن على ما يظهر انها كانت تؤكل احياناً بعد الجلوس على المائدة وكانت المائدة مفتوحة الى تلك البرهة . وبحسب العادة اليهودية كان عشاء المسيح السري مغلقاً ايضاً وليس لدينا اي دليل على اشتراك اي عضو من اعضاء البيت الذي اقيمت فيه المائدة السرية ، اذ لم يكن حاضراً فيها الا المسيح والرسل . كل شيء كان اعتيادياً في هذا الامر لأن كل موائد الأخويات كانت تجري على هذه الصورة . فالمدعون وحدهم كان بامكانهم ان يكونوا فيها اذا ما قد وصلوا قبل ابتداء المائدة وكان بامكانهم ان يشتراكوا فيها<sup>١</sup> .

١ - ان ترتيب الموائد اليهودية يعطينا الى حد ما امكانية حل المشكلة فيما اذا كان يهوداً قد اشتراك في مائدة المسيح السرية . فمن وصف متى ( ٢٦ : ٢٠ ) ( وما يتبع ) ومرقص ( ١٤ : ١٨ انح ) يستنتج ان يهودا ترك البيت قبل ابتداء المائدة في حين انه بحسب رواية لوقا ، ترك المائدة بعد اعطائه سر الشکر . اما يوحنا فيعطينا فقط اشاره الى ان يهودا قد ترك المائدة بعد غسل الارجل . ومن الواضح بعد هذه الادلة على ان المائدة لم تكون قد ابتدأت بالفعل وهكذا فيوحنا يتواافق بالاحرى مع متى ومرقص اكثر من مع لوقا . وليس ثمة امكانية ان نوفق بين هذه الادلة بالاستناد فقط الى معطيات الانجيل . ومن الواجب اذن ان تحمل المسألة اما لصالح لوقا او لصالح الانجليزيين الآخرين . ونحن اذا اما اخذنا بعين الاعتبار كلمات المسيح « فقال لهم هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس يده معي في الصفحة » ( مر ١٤ : ٢٠ قابل مت

٢ - ان هذا «التقليد» المتعلق باتمام الافخاريستيا يعود الى السيد نفسه . وقد اتبع ابتداء من الكنيسة الاولى . واذا كان الاجتماع الافخارستي يبتدئ « بالسينا كسيس » فان الموعوظين كانوا يغادرون الاجتماع بعد الوعظ ولم يكن يبقى على المائدة سوى المؤمنين الذين كانوا يأكلون كلهم من الخبز الافخارستي ويشربون من الماء . وبهذا المعنى بقي الاجتماع الافخارستي في الكنيسة الاولى سراً او مغلقاً . « ليبق الشامسة واقفين عند باب الرجال ، والحاائزون على رتبة الایبوذيا كونية عند ابواب النساء لكي لا يدخل احد في وقت تقدمة القرابين ولكي لا يفتح الباب اذا ما أقبل احد المؤمنين »<sup>١</sup> . لقد كانت تغلق ابواب البيت الذي كان يحرى فيه الاجتماع الافخارستي وذلك عندما كان يبتدئ سر الشكر . وكان يحرى قبل ذلك اخراج الموعوظين ، ولم يكن يسمح لاحد ان يدخل الاجتماع لكي يشترك في الافخاريستيا . لا شك بأن هذه العادة دخلت منذ العهد الاول اي انها لا يمكن ان تكون قد ظهرت بعد الجمجم النيقاوي فقد كان يبقى في الاجتماع المؤمنون فقط اي ، الذين كانوا « مستحقين » للمساهمة في مائدة رب . فلا نستطيع ابداً ان نتصور ان احداً من المؤمنين القادمين للاشتراك في الاجتماع الافخارستي كان يتمنع عن مناولة الخبز الشكري والكأس . لقد بيّنت سابقاً انه لم يكن يحضر في الاجتماع الافخارستي في الكنيسة المحلية كل اعضائها ، حيث كان يوجد دائماً اناس مرضى واناس منهم كون و كانوا

٢٦ : (٢٣) يتضح لنا بان الكلام يتناول قسم التهيئة في المائدة اي قبل ان تبتدئ بالفعل المائدة بالمعنى الحصري من الكلمة وبذلك ليتضح ان مرقس ومتى يذكران مرتين عندما اكلوا . اما ذكرها للمرة الثانية ( مر - ٢٢ : ١٤ ، مت ٢٦ : ٢٦ ) فهو مباشرة قبل مباركة الخبز فهو امر لا اهمية له فيما اذا كانت قد ابتدأت المائدة الفعلية بعد الجلوس . وبالضبط فان يهودا خرج في تلك البرهة من الوقت بين الجلوس ومباركة الخبز وفي تلك البرهة عينها جرى غسل الارجل .

١ « القوانين الرسولية » ( ٨ : ١١ ) ، في الترجمة الروسية ، صفحة ٢٦٧ .

بالواقع يحرمون من امكان المساهمة في الاجتماعات ، كما انه كان يوجد منذ البدء اناس يتخلرون بملء ارادتهم فاوريجانس كان يتالم بشدة بأن مهات الحياة والميل الى الكسل كانت تبعد المؤمنين عن الاجتماعات<sup>١</sup> .

وليس هذا كل ما في الامر فلم يكن ثمة حاضرون في الاجتماع الافخاريسي . و اذا كنت غير مخطىء فاننا لا نجد ابداً قبل القرن الرابع ان احداً من المشتركين في الاجتماع الافخاريسي منع نفسه عنه بعدم مناولته القرابين الشكرية ، وليس من المحتمل ان نتصور ان احد اعضاء الكنيسة امتنع بملء ارادته عما أصبح لاجله عضواً في الكنيسة . فالكنيسة لم تكن تستطيع ان تقبل في صفوفها من كان يتمتع عن الاشتراك في مائدة الرب مدعياً انه حضر فيها . فالامتناع عن الاشتراك في مائدة الرب هو امتناع عن مناولة القرابين الشكرية وهذا يضاهي الفرز من الكنيسة . لقد جرى بعد ذلك الفرز من الشركية الافخاريستية والرجل المفروز لم يكن ينتقل من عدد المشتركين الى عدد الحاضرين ، وذلك لأن امثال هؤلاء لم يكن لهم بالكلية وجود كما انه لم يكن يسمح للمفروز الدخول في الاجتماع الافخاريسي ، فالابواب كانت موصدة في وجهه منذ ابتداء الافخاريستية . وفي كل الظروف بقي الاجتماع الافخاريسي اجتماعاً للمشتركين فيه ، أي للذين كانوا يساهمون في مائدة الرب بتناولهم القرابين الشكرية . لقد كان المشتركون في سر الشكر يساهمون كلهم دائماً سوية في المائدة الربانية . هكذا كان قانون الحياة الكنيسية . وقانون الحياة هذا بقي غير مبدل في العصر الذي سبق جمع نيقية وفيه وبواسطته كان يعبر عن جوهر سر الشكر .

---

١ - في التكوين ، الموعظة العاشرة ، ونحن لسنا متيقنين تماماً فيما اذا كان اوريجانس يتكلم عن الاجتماع الافخاريسي او عن السيناكسيس وذلك انه بالدرجة الاولى كان يوبخ معاصريه لانهم لم يكونوا يأتون الى سماع كلمة الله بملء ارادتهم .

٣ - ان القرن الرابع ادخل تبديلات عظيمة في الحياة الكنسية فظهرت اوائلها في نهاية القرن الثالث . اذ ان دخول الجماهير الوثنية العظيمة من سكان الامبراطورية الرومانية في الكنيسة بعد تسلم قسطنطين الكبير احدث تدهوراً في مستوى الاخلاق في حياة المسيحيين . ان هذا السلم حمل سيئاته كما دلت على ذلك الفترة السالمية من الزمن قبل اضطهاد ديوكلينوس . وبعض التدهور من مستوى الحياة الخلقدية المسيحية كان يعود الى تبديل اسس الحياة الكنسية . بما فيه الاسس الافتخاريسية . وقد رأى بجمع الفيرا من الضرورة ان يصدر قانوناً خاصاً يتعلق بالذين ينتفعون بملء ارادتهم عن الاشتراك في الاجتماع الشكري فقد أوصى ان يفرز الذين لا يأتون اليه في بحر ثلاثة آحاد<sup>١</sup> ونحن نعلم أن هذه الظاهرة لم تكن جديدة . اما الجديد فقد كان ينحصر في ان عدد المتنعمين قوي جداً على ما يظهر في ذلك الوقت حيث خفيت تقريباً الاسباب التي دعت غياب بعض اعضاء الكنيسة عن الحضور الى الاجتماع الشكري . لقد كان يوم الاحد يوم عطلة الى حد كبير في زمان قسطنطين ، فامتنع المؤمنون بملء ارادتهم عن الاشتراك في سر الشكر ولم يكن لديهم اي مانع خاص .

والجدة الكبرى تقوم في القرار نفسه الذي لم يكن ضروريًا بالكلية في عصر اضطهادات . فكان من الضروري تذكر بعضاً اعضاء الكنيسة في ما يكون جوهر الحياة الكنسية ، والسلطة الكنسية اعتبرت نفسها مع واقع الحياة الكنسية الجديد وعملت ( الخطوة الاولى ) وقامت بالمساومة الاولى . فقد سمحت بامكانية عدم اشتراك المؤمنين بمطلق

١ - القانون ٢١ من بجمع الفيرا . ان بجمع سردية يذكر هذا القانون ( اواسط القرن الرابع ) في قانونه الثاني عشر وكذلك بجمع الترولو ( ٦٩٢ ) في قانونه الثاني .

ارادتهم في الاجتماع الشكري ولكنها حددت ذلك بثلاثة آحاد فقط . ومن ذلك يفهم ان في هذه الفترة من الزمن استثنىت الاجتماعات الشكرية التي كانت تقام في غير ايام الآحاد وذلك في الوقت الذي ابتدأت تزايد فيه هذه الاجتماعات . وازدياد العدد هذا ابتدأ اولاً يضعف ( الاساس ) مبدأ الافخاريسية الجوهرى القائل باجتماع الكل حول الافخاريسيا . ان هذا كان بدء تدهور في الحياة الافخاريسية التي تجسست حالاً في واقع آخر . فقد وجد في الاجتماع الافخاريسى ليس المشتركون فحسب ولكن جماعة الحاضرين فأخذت السلطة الكنيسية تجاهد منذ البدء ضد هذه الظاهرة الجديدة . ولم تكن ترغب . قط ان تقدم على اي مساومة . فقالت ان كل من يرغب ان يكون حاضراً فقط في الاجتماع الشكري فإنه يفرز نفسه عن الشركية وهذا يعني انه لا يمكن للحضور المشاهدين ان يحضروا الى الاجتماع الافخاريسى . فهناك ثلاثة فئات فقط : المؤمنون والمفروضون والموعظون .

« ان كل الذين يدخلون الى الكنيسة ويسمون الكتاب ولا يشتركون في الصلاة مع الشعب لعدم تسكمهم بالترتيب والنظام او يمتنعون عن مناولة الافخاريسيا المقدسة ، فليفرزوا من الكنيسة الى الوقت الذي يعترفون فيه ويظهرون ملء توبتهم ويطلبون المغفرة وعند ذلك يستطيعون ان يتناولوا »<sup>۱</sup> .

فإذا امتنعنا عن كل فكرة مسبقة نرى ان معنى هذا القانون الثاني

۱ - القانون الثاني في مجمع انطاكيه في ترجمة « كتاب القوانين » .

من جمع انتهاكية يكون واضحاً تماماً فثمة شيئاً غير طبيعيين يتضمنان لنا من خلال هذا القانون في الحياة الليتورجية الأولى في أن بعض أعضاء الكنيسة يخرجون بعد انتهاء القسم الأول من الاجتماع الافخاريسي ، ابتداء من « السينا كسيس » الذي يطابق تقريباً قداس الموعوظين عندنا الذي كان يتألف من قراءة الكتاب المقدس وموعظة الأسقف . ويمكن ان يبدو غريباً للوهلة الأولى ان هذا الخروج قبل ابتداء الافخاريستية موجود أيضاً في العادة القديمة ، اي انه يبدو تعبيراً للتعليم الأساسي حول سر الشكر ، التعليم القائل بأنه يمكن ان يحضر المشتركون فقط وليس الحاضرون المشاهدون . بهذا تنتهي ملاحظة المجمع المتعلقة بخروج بعض المؤمنين عن العادة الافخاريستية القديمة . وقد وحد نفسه في طريق التعليم الأساسي في الافخاريستية . ولكن الكنيسة الأولى لم تعرف مثل هذا الخروج : ان المؤمنين الذين كانوا يأتون الى القسم الأولى من الاجتماع الافخاريستي كانوا يبقون في سر الشكر وذلك لأن جوهر مجدهم كان المساعدة الافخاريستية وليس المساهمة في السينا كسيس الذي كان يخرج الموعوظون في نهايته . فخروج المؤمنين في نهاية السينا كسيس كان بمثابة حرمان الشخص نفسه من درجة المؤمنين المقدسة ودخوله في عداد الموعوظين . فكانت « الكينونية » او الشركة في الصلاة ومناولة القرابين المقدسة تتبع السينا كسيس . فكل من هذين ملازم للآخر بالنسبة الى المؤمن ولذلك فلم يكن يستطيع الموعوظون ، كما نعلم ، ان « يشاركون » ليس فحسب في المناولة ولكن في الصلوات ايضاً ، كما أنّ المؤمن الذي يتمتع عن المناولة لم يكن باستطاعته ان تكون له شركة في الصلاة مع الشعب . لأن الصلاة في الاجتماع الشكري كان لها صفة افخاريستية . فالامتناع عن الشركة الافخاريستية كان اذن اشارة الى ادخال المتنع في عداد المفروزين . والجム بقراره الفرز من الكنيسة وعدم الاشتراك في الصلاة مع المؤمنين وعدم المناولة قام فقط باستنتاج طبيعي من العمل الفعلي

للمؤمنين الذين يتكلم عنهم في قانونه ، اي ان الفرز من الكنيسة هو فرز من الاشتراك في الافخاريسية . والجمع بتهديده بالفرز من الكنيسة الذين يمتنعون عن الافخاريسية المقدسة اعلن بنفس الوقت رسمياً بان الاشتراك في الافخاريسية يجب ان يتم بالمناولة .

ان كاتب « القوانين الرسولية » ( اقدمها يعود الى اواخر القرن الرابع او اوائل القرن الخامس ) يستفيد من القانون الثاني من قوانين بجمع انطاكية ويحوره تحويراً طفيفاً اذ يقول : « ان كل المؤمنين الداخلين الى الكنيسة المستمعين للكتاب المقدس والذين لا يبقون الى آخر الصلاة والمناولة المقدسة ( اي آخر القدس الاهي ) يدخلون الى الكنيسة عادة لا صحة لها وعليه فليفرزوا من الكنيسة »<sup>١</sup> . وفي الوقت نفسه يضي مؤلف كتاب « قوانين الرسل » فيقول بان الاسقف او الساكن او الشهاس او اي شخص يخدم الذبيحة الاهية يفرز اذا لم يتناول ساعة اتمام الذبيحة الاهية<sup>٢</sup> . ولنلاحظ هنا بأن هذا القانون يبدو لنا كشاهد على عدم وجود « الاشتراك في الخدمة » في القرن الخامس . وفيما يتعلق بالمناولة نرى ان جامع « قوانين الرسل » يضع الاكليروس وجماعة المؤمنين في درجة واحدة . وبرجوعنا الى القانون التاسع علينا ان نلاحظ بأن الكلام يتناول الاشخاص الذين يخرجون من الكنيسة بعد قراءة الكتاب المقدس دون ان يتناولوا . وكذلك الامر بالنسبة الى القانون الثاني من قوانين المجمع الانطاكي . ولا يقتصر الامر على ذلك اذ ان هذا القانون اصبح فيما بعد نقطة استناد لتبرير عرف جديد . فمؤلف « قوانين الرسل » يستعمل فعل παραμένω معجم *parameno* في كلامه عن الاشتراك في الصلاة والمناولة ، ومعنى الفعل وجد او بقي الى النهاية . فأراد ان يرشد هم الى واجباتهم بالاشتراك في الصلاة والمناولة .

١ - القانون التاسع من قوانين الرسل في ترجمة « كتاب القوانين » .

٢ - القانون الثامن من قوانين الرسل .

ولم يكن هناك شك عند المدقق اللغوي او شارح القوانين في المعنى الذي قلنا به عن فعل **ساعي** παραγω « Parameno » في صيغة الجر . فبلسامون فسر اذن هذا الفعل تفسيراً مصطنياً عندما قال بأنه يعني حضر فقط .

٤ - ان مصير القانون الثاني الانطاكى والقانونين الثامن والتاسع الرسوليين كان مصيرأ غير طبيعى . فمجمع ترولو اعطى قوانين الرسل وقوانين المجمع الانطاكي معنى ضرورة عامة من بين بقية القوانين . وقد ثبت ذلك المجمع المسكوني السابع . وفي الوقت نفسه اعترف بصورة رسمية بأن كل القوانين التي وصلت اليه لا يمكن تبديلها . فالتناقض في الحياة الكنسية يقوم في جعل القوانين ذات صبغة عقائدية في الوقت الذي اخذت فيه هذه تتبدل بالفعل . لقد سار على هذه الطريق مجمع ترولو نفسه عندما بدل في قانونه الثاني عشر امر الرسل المتعلق بحياة الاساقفة الزوجية . أسواء صحيح او غير صحيح فمن وجهة نظر تدبيرية كنسية نرى ان التوصية الموجودة في القانون الثاني عشر من قوانين مجمع ترولو ، وهي قضية خاصة ، هدم لما اعلن هو نفسه عنه انه لا يقبل التبدل . وثمة تناقض آخر وهو ان العرف الكنسي ينص على الصفة التي لا تقبل التبدل بالدرجة الاولى في القوانين التي تتناول بنیان الكنيسة اي تلك التي لا يستطيع احد ان يدعى فيها شيئاً من ناحية جوهرها . اما ما يتعلق بالقوانين الصادرة عن طبيعة الكنيسة نفسها وبالتالي التي لا تقبل تبديلاً فأنها باستمرار تفقد اهميتها ، وذلك لأن الحياة الكنسية وضعت مكانها اعرفاً آخرأ قضى عليها بالفعل وان لم يقض عليها في الترتيب القانوني . وهذا ما حدث بالواقع للقوانين التي اتينا على ذكرها اعلاه . فهي لم تطمس تماماً ولكن كان يأتي دائماً عرف او اكثر يحكم عليها ويلغيها . ونحن نعلم انه حدث في القرن الثاني عشر جدل تناول مفهومها وضرورتها في الحياة العملية . ونتيجة هذا الجدل ان العرف

الذي وجد في ذلك الوقت كان قريباً إلى حد كبير من عرفنا الحالي . فكان يسمح للمؤمنين بدرجات متفاوتة ان يخرجوا من القدس الاهلي ابتداء من جزئه الاول على كل الاحوال ، ومن ثم اصبح ممكناً للحاضرين ان لا يتناولوا القربان المقدس بدرجات متفاوتة ايضاً . لا نستطيع ان نجزم في اي وقت من الاوقات ابتدأ هذا العرف . وبالظاهر نرى ان هذا العرف لم يكن موجوداً في عصر مجمع ترولو وذلك بالاستناد الى قانونه السادس والستين . ويقول زونارس ، الشارح القانوني في ذلك الوقت ، بأن المؤمنين الذين لا يتناولون في القدس الاهلي يخضعون لقانون الفرز حتى ولو كانوا يفعلون ذلك على حد تعبيره « مدفوعين بالتقوى او التواضع »<sup>١</sup> . اما بلسامون فيعطي حلّاً في صالح الطرف الآخر اذ يقول ان المؤمنين لا يمكن ان « يُضطروا » الى المناولة في كل مرة يحضرون فيها القدس الاهلي : « ان القول باننا نحن جماعة المؤمنين العلماين والكهنة الذين لا يقومون بالخدمة نفسها يجب علينا ان نتناول القربان المقدس كل مرة والا تعرضا للفرز لا يتفق مع القانون وليس هو بالممكن »<sup>٢</sup> . اما ما يتعلق بالقوانين الكنسية فهي برأي بلسامون تتكلم فقط عن « الذين يدخلون الكنيسة » وتقول انه عليهم ان ينتظروا الى آخر القدس الاهلي ليأخذوا البروتة . وهو يستند في رأيه هذا على القانون الرسولي التاسع الذي يعني فيه فعل *parameno* « البقاء الى النهاية على زعمه . والى جانب ذلك يقول بلسامون بامكانية خروج المؤمنين من القدس الاهلي قبل الابتداء بقانون الذبيحة الاهلية . ومن العجب العجاب ان بلسامون نفسه يحدثنا عن عدم رضى عامة الشعب عن ترك البطريرك القدس الاهلي قبل نهايته . ولكن يردف فيقول مع ذلك : « ان البطريرك يفعل حسناً

١ - زونارس في شرحه للقانون الانطاكي الثاني .

٢ - شرح قانون الرسل الثامن .

عندما يخرج قبل الابداء به ( اي قبل الابداء بالقانون الافخاريسي ) وبعد قراءة الانجيل ، وهو لا يتعدى بذلك القوانين الكنسية . وهكذا فلا يخرج احد القوانين اذا خرج بعد الانجيل او قبله لضرورة ما او لداع تقوى وهو لا يلام على ذلك ابداً<sup>١</sup> . ولندع ذلك على ذمة بسامون في ان البطريرك حسناً يفعل ولنلاحظ فقط ان الشعب البسيط كان يحتفظ ايضاً في زمن بسامون بذكرى العرف القديم . ويكفيانا كون السلطة الكنسية استمرت في الدفاع عن العرف القديم بعد تفسير بسامون الآنف الذكر . ونتيجة لهذا التفسير ظهرت في القدس الاهلي فئة اخرى من المؤمنين كانت تحضر فقط في الافخاريستيا دون ان تتعرض للفرز . فأصبحت هذه الفئة على مر الزمان الاكثرية عددياً . فقضى ذلك على وحدة الاجتماع الافخاريسي : اذ ظهر فيه جماعة تتناول وجماعة تحضر حضوراً عند مناولة الآخرين . ولم يعد المؤمنون يتناولون كلهم كما كانت العادة منذ وجود الكنيسة ومضت تلك الاوقات في الحياة الكنسية عندما كان عدد المتناولين على حدة يزداد او ينقص ولكن حل محلها ازمنة فقد فيها هذا العدد فقداناً تماماً اذ لم تعد « المائدة الربية » مائدة تقام في الكنيسة ولاجل الكنيسة .

٥ - وباتت الحجج الاساسية ضد « المناولة المتكررة » معروفة جيداً . فنقيوديم ميلاتس في شرحة لقانون الرسل التاسع كتب ما يلي : « ان بعض القانونيين فهموا هذا القانون فقالوا انه يجب على المؤمنين فحسب ان لا يبقوا في الكنيسة الى آخر القدس الاهلي بل يجب عليهم ايضاً ان يتناولوا كلهم القرابان المقدس . من الممكن ان يكون هذا التفسير صحيحاً اذ انه يمكن تثبيت ذلك من الكتاب المقدس كما ذكرنا اعلاه في شرحنا لهذا القانون ( اي ١ كور ١٦:١٠ ، ١٧ ، ٤٦:٢ و ٧:٢٠ ) . ومع

---

١ - بسامون ، تفسير القانون الثاني الانطاكي .

ذلك فليس من الممكّن ان يكون المؤمنون جميعهم بحاجة الى المناولة في كل مرة يخضرون فيها الى الكنيسة اذ من السهل جداً ان لا يكون الكل دائماً مستعدين الى المناولة او ان يكون ضميرهم دائماً مرتقاً لاسباب عديدة متّأثرة من حالة شخصية او من حياة اجتماعية<sup>١</sup>. وهكذا نرى ان ميلاتس يتبع حرفيّاً تقريراً حجّة بلسامون بادخاله الحجّة الأولى ضد «المناولة المتكررة» اعني عدم استعداد الشخص . فالاولون اذن والآخرون يقولون «بعدم الامكان» ولكن «عدم الامكان» هذا يأخذ عند ن. ميلاتس صفة مأساة الى حد ما، لانه يوافق على ان القانون الرسولي التاسع يتكلّم عن مناولة جميع المؤمنين المساهمين في الافخاريستيا . ومن المستغرب ان شارحاً لبقاء كنيقوديم ميلاتس لا يثير قضية تتعلق ب موضوعنا : لماذا ما كان «مكناً» في الكنيسة الأولى اصبح «غير ممكّن» الآن ؟ لقد بين هو نفسه ان نشر القانون الرسولي الثامن جرى لأن الايمان ضعف في قلوب المؤمنين<sup>٢</sup> ونتيجة لذلك حاولت السلطة الكنيسية القضاء على الضعف في الايمان . اما الآن فهي لم تخضع للواقع فحسب بل اعلنت انه «غير ممكّن» .

والى هذه الحجّة الأولى تنضم الحجّة الاساسية نفسها اي عدم اهلية المؤمنين<sup>٣</sup> . ان كلتا الحجتين تشهدان على فقدان معنى الشركة الافخارستية

١ - نيكوديم ميلاتس ، قوانين الكنيسة الارثوذكسيّة وشرحها ، المجلد الاول ، صفحة ٦٩ ، طبعة بطرسبرج ، ١٩١١ .

٢ - نفس الكتاب صفحة ٦٨ .

٣ - ان الاب سرج بولفاغوف اعلن عن فكرته سنة ١٩٢٩ («حول قضية تدبیر الاعتراف والمناولة» الطريق عدد ١٩) في ان الكاهن الخادم ينال «قدرة خاصة» للمناولة (صفحة ٧٢) . وهو يكتب بعد ذلك فيقول: «ان الكاهن الخادم ينال بوضع اليد سلطة وقوة للمناولة في كل قداس وهي دون ان يلجأ الى اعتراف محتمل» . ومن هذا يمكن ان نقول ان امكانية المناولة «المتكررة» للكاهن المسام نتيجة طبيعية لسر الكهنوت . وانا بدوري لن اتوقف عند هذه الفكرة ، لان الاب بولفاغوف نفسه ، كما يبدو لي ، لم يتوقف عندها في سنين الاخيرة .

ويجب ان نلاحظ ان الاعتبارات التي تقوم ضد «المناولة المتكررة» ظهرت «Post Factum» عندما ثبتت في الحياة الكنسية العرف القائل بالمناولة النادرة . فهي اذن قامت لتبرر ما كان جارياً في الحياة الكنسية ولاجل ذلك فقيمة هذه الحجج اللاهوتية مثيرة للشك جداً .

وما لا شك فيه ان قضية عدم الاهلية الشخصية نالت قبولاً غير متظر . والقضية نفسها تشهد على عدم الادراك لطبيعة الكنيسة . فاذا كان عدم اهلية كل واحد منا مانعاً للشركة الافخارистية فهي بصورة عامة غير مقبولة . وليس من اهمية فيكم من مرة تتحقق المناولة اذ ان الارقام الحسابية لا تلعب اي دور في قضية كهذه . ولكن ليس هذا بالامر الام الذي يجب ان يقدم كحججة فيما يتعلق بعدم اهلية الشخصية . فالام هو هل نقبل القضية نفسها المتعلقة بعدم اهلية المؤمنين للاشتراك في الاجتماع الافخارستي ؟ ان الاجتماع الافخارستي هو ظهور الكنيسة في ملئها الا كمل وفي وحدتها المثلثة .اما الاشتراك الافخارستي فهو تعبير عن حياة الكنيسة . و اذا نحن ابعدنا الاشتراك الافخارستي فهذا يبقى من الحياة في الكنيسة ؟ أي يكن للصلة ان تسد مسد الشركة الافخارستية ولو بصورة مؤقتة ؟ ان صلة الكنيسة صلة «في المسيح» ولكن لا يمكن ان تكون مع المسيح بدون الشركة الافخارستية معه .

ان الموعظين لم يكن بامكانهم المساهمة في صلة الكنيسة وذلك لأن المساهمة بالصلة تفترض قبل كل شيء امكانية المساهمة في سر الشكر . ونحن بتشديدنا على عدم الاستحقاق الشخصي كائع «للمناولة المتكررة» نشدد في الوقت نفسه على عدم اهليتنا لوجودنا في الكنيسة ، اذ ان ذلك يعني اخيراً الاشتراك في الاجتماع الافخارستي . ولا نكتفي فقط باعطاء انفسنا حق الحكم المتعلق باستحقاقنا او بعدم استحقاقنا للبقاء في الكنيسة ، هذا الحق الذي يعود الى اختصاص الكنيسة

وحدها ، ولكننا بذلك نكون قد وضمنا سر المعمودية موضع الشك . ففي سر الدخول في الكنيسة ( معمودية الماء والروح ) نصبح بأعلى درجة اعضاء شعب الله ومستحقين لأن نساهم في الاجتماع الافخارستي . وقد كان المعتمد حديثاً في الكنيسة القديمة يقاد باحتفال مهيب إلى الاجتماع الافخارستي وذلك بعد مسحة المiron المقدس . فالافخارستيا تثبت اذن وتكرس الانخراط في جسم الكنيسة . وبالرغم من ذلك لا نزال نحاول ان نثبت باننا غير مستحقين لمساهمة في سر الشكر ، لأن سر الانخراط في الكنيسة لم يصل بعد إلى ملئه . فالاستحقاق الشخصي او عدم الاستحقاق يجب ان لا يتعد بخطيتنا الشخصية . اذ ان هذه تبقى دائماً ، والقدسية الإنسانية ليست فقدان الخطيئة ( التنزيه عن الخطيئة ) . اما الخلاص فيتم بواسطه النعمة التي هي عطية الله ، وهذه تم في الكنيسة وليس بصورة فردية ، واذا كانت تم في الكنيسة فهذا يعني بواسطه المساهمة في سر الشكر « لمغفرة الخطايا » . وهكذا نرى ان وراء قضية الاستحقاق او عدم الاستحقاق التي اثيرت في اللاهوت المدرسي ، وبالدرجة الاولى حول الشركة بالافخارستيا ، تكمن قضية الخلاص بواسطه الكنيسة او بواسطه الاجتهاد الفردي . ان المسيحية هي « كنيسة الله في المسيح يسوع » و « كنيسة الله في المسيح » هي المسيحية . ومن يقول المسيح يقول الكنيسة ومن يقول الكنيسة يقول بالوقت نفسه الاجتماع الافخارستي . وعليه اذن فالمسيحية بدون الكنيسة لا تعني سوى شيء لم يكن ولا يمكن ان يكون . وقد قيل قدیماً « لا خلاص خارج الكنيسة » وهذه الكلمات التي فاه بها القديس كبريانوس القرطاجي ذات معنى افخارستي : فخارج الكنيسة لا خلاص يعني ذلك ان لا خلاص خارج الاجتماع الافخارستي . وكل محاولة اخرى هي محاولة النزعة الفردية التي لا تعرف بها الكنيسة ، وان كانت تسربت الى الحياة الكنسية بصورة واسعة النطاق تحت تأثير الحياة العملية ونزعتها الفردية .

اما ما يتعلق بعدم الاستعداد كحججة موجهة ضد المناولة المتكررة فقيمتها قيمة نسبية تماماً . وهذا نفسه يقود الى النسبية في الحياة الكنسية ، أي ان الاستعداد لا يمكن ان يكون ابداً بصورة مطلقة . وبالاضافة الى ذلك فعدم الاستعداد لا يخضع لحساب مفصل كما انه لا يخضع لتحديد . فلا يمكننا ان نزعم الى أية درجة يسمح الاستعداد للمؤمن ان يتناول . وانا لست مستعداً ابداً ان ابعد تماماً ضرورة الاستعداد للاشراك في الاجتماع الافخاريسي وخاصة عادتنا التقوية في « التخشع » التي ، مع ذلك ، يجب ان لا تتعلق بالضرورة بقضية المناولة . ويجب على الاقل ان نلاحظ ان مسألة الاستعداد للمناولة ليست سوى شهادة على تدهور في الحياة الكنسية . ففي الكنسية لم تثر قضية الاستعداد او عدم الاستعداد للمناولة . وليس ثمة من ضرورة لاعتبارنا حياة المسيحيين الاوائل حياة مثالية كانت بكلاملها استعداداً مستمراً للاشراك في الاجتماع الافخاريسي . ولكن عندما اخذت حياة المسيحيين تبتعد عن تلك المتطلبات التي كان كل مسيحي يأخذها على عاته ظهرت عند ذلك ضرورة تبديلها على الاقل في مجرى فترات من الزمن وجيزة لكي يجعلها تتوافق اكثر مع متطلبات الاخلاق المسيحية . فوراء ذلك كله يوجد شعور بالمساواة لأننا لسنا في وضع يسمح لنا ان تكون حياتنا كلها استعداداً للمساهمة في « مائدة ربنا ». ونحن بذلك نثبت ازدواجية حياتنا : فمن جهة حياتنا في الكنسية ، ومن جهة ثانية حياتنا خارج الكنسية . وفي الوقت نفسه نبدو عاجزين عن تحديد حياتنا ذات الخطتين المزدوجتين .

ولست مستعداً هنا ان اتناول قضية الاعتراف قبل المناولة . وقد كانت هذه القضية موضوع جدال في وقت ما . واريد هنا ان انبه الى ان العرف الحالي في الاعتراف قبل المناولة صبغ هذا بصفة تكاد تكون سحرية . ان مغفرة الخطايا ضرورية قبل المناولة نفسها لكي تعاد ثانية

بعد المناولة . لقد اضعننا نتيجة لذلك ضمير المسيحية الاولى الاسامي وهو القائل بأنه ليس لاعضاء الكنيسة سوى حياة واحدة فقط وقد وهبت بكمالها للمسيح في سر « معمودية الماء والروح ». « العالم ، ام الحياة ، ام الموت ام الاشياء الحاضرة ام المستقبلة . كل شيء هو لكم وانتم المسيح والمسيح لله » ( ١ كور ٣ : ٢٢ - ٢٣ ) .

٦ - ان السلطة الكنسية في القرن الرابع كانت تحاول بشخص الجامع ان تحد من فقدان الایمان عند المؤمنين في علاقتهم باشترائهم بالافخاريستيا . اما في القرن الثاني عشر او الثالث عشر فأنها لم تكتن عن هذا فحسب بل جعلت قانونياً ما كان قد حكم عليه عمداً . وفوق ذلك فان اللاهوت المدرسي كما رأينا اعلاه يحاول بصورة لاهوتية ان يعطي اساساً قانونياً للعرف الذي لا يتفق والقوانين الكنسية . على من اذن تقع المسؤولية هنا ؟ اتقع فقط على اعضاء الكنيسة انفسهم الذين اضاعوا الامانة الضرورية ؟ واما كان الامر كذلك فلا يتحقق لاحد ان يبرر لاهوتياً العرف العملي الذي حكم عليه في وقته . ان الجواب كائنا في طرح القضية نفسها . انتنا نتكلم عن المناولة النادرة او المتكررة في وقت طرحت فيه القضية بالنسبة الى الاشتراك او عدم الاشتراك بالافخاريستيا . لقد دعينا الى هذه الشركية ولا يمكننا تبديل الاشتراك بالاجتماع الافخارستي وبالحضور فيه فقط . مما لا شك فيه انه ظهر في القرن الرابع بعض الفتور في الرغبة بالاجتماع الافخارستي . اذ ان العدد الاكبر من سكان الامبراطورية الرومانية الذين دخلوا في المسيحية اصبحوا بذلك بالاسم فقط وادخلوا الى الكنيسة مفهومهم الوثني الذي لم يتخلوا عنه نهائياً . ان كل هذا معروف وصحيح ولكن الى جانب ذلك نرى ان العرف الليتورجي آنذاك ساعد على فتور ايمان المسيحيين فيما يتعلق باشترائهم في الاجتماع الافخارستي . اما في العصر الرسولي والكنيسة القديمة فان الاجتماعات الشكرية كانت تجري بصورة اقل

بكثير بالقياس الى ما يجري في يومنا هذا اذ ان هذه المجتمعات كانت تجري دائمًا في « يوم الرب ». وبالاستناد الى شهادة ترتيانوس نرى ان المجتمعات الأفخارистية كانت تقام في قرطاجة أيام الأحد والأربعاء والجمعة من الأسبوع وفي اعياد الشهداء. ومن « التقليد الرسولي » لا يبوليت رومية يمكننا بصعوبة القول كم مرة في الأسبوع كان يجري الاجتماع الأفخارستي . ولذلك يجب ان لا نعمم عرف كنيسة قرطاجة على كل الكنائس المحلية . اما في القرن الرابع فان الأفخارستيا كانت تتم اربع مرات في الأسبوع بشهادة القديس باسيليوس الكبير : اي يوم الأحد ، والأربعاء والجمعة والسبت<sup>١</sup> . ويجب علينا هنا ان نتحفظ ثانية فتساءل فيما اذا كان هذا منتشرًا في كل مكان؟ فإذا كان القديس باسيليوس الكبير اعرب عن رغبته بقوله : « انه من الحسن جداً ان يتناول الانسان كل يوم جسد المسيح ودمه » فان هذه كانت بكل تأكيد رغبة مثالية عرفها باسيليوس نفسه وعلم ان المرء لا يتوصى اليها في هذه الحياة . وثمة بعض الاسس التي تسمح لنا ان نقول بأن الأفخارستيا كانت تقام في القسطنطينية والاسكندرية وبعض الاماكن الأخرى نهار السبت وال الأحد . وببقائنا ضمن السؤال نقول انهم ، بقوة مثل هذه الاسباب ، اخذوا يميلون الى تحقيق اقامة سر الشكر يومياً او يومياً تقريباً في الحياة العملية<sup>٢</sup> . وعلينا ان نلاحظ هنا ان ذلك لم يؤد الى تقوية الحياة الأفخارستية لا بل الى اضعافها . وهذا ليس بتناقض بل نتيجة طبيعية لا مفر منها . فعندما كان الاجتماع الأفخارستي للجميع لم يكن من الممكن ان تطرح قضية المناولة النادرة او المتكررة . وعندما أصبحت الأفخارستيا تقام بعض المرات في الأسبوع، وخصوصاً عندما أصبحت

١ - باسيليوس الكبير ، مؤلفاته في الترجمة الروسية ، ١٨٩٦ المجلد الاول ، صفحة ٢٠١ .

٢ - يمكنني فقط ان اشير الى ان احد هذه الاسباب كان العرف في الاديار .

تقام يومياً ، عند ذلك بطلت ان تكون اجتماعاً للجميع بل اصبحت اجتماعاً للبعض اي لم يعد باستطاعة جميع اعضاء الكنيسة المحلية المساهمة فيها . وكان على هؤلاء ان يقل عددهم من افخاريستيا الى افخاريستيا اخرى . وقويت بالتالي في ضمير المسيحيين الفكرة القائلة بأن افخاريستيا ليست مهمة الكنيسة اي خدمة الشعب كله ، بل عمل تقديسى يتم بدون ان يكون له اية علاقة بمجتمع الكل سوية الى امر

واحد *Epi to afto* » τότε αύτος « .

ولم تستطع السلطة الكنيسية ان تطلب من المؤمنين ان يشتراكوا في كل ذبيحة الاهية تجري . كما انها لم تكن تتمكن من حرمان المؤمنين الاقتراح من الاشتراك في القدس الاهي . اذ ان مثل هذا الحرمان لم يكن يسمح به، هذا اذا لم نقل انه في تناقض ظاهر مع العرف القائم آنذاك في الاشتراك في القدس الاهي . ان عدم المداومة على القدس الاهي كانت تعبيراً عن ايمان المؤمنين . وبسلامون عبر عن رأي عصره عندما ثبت كما رأينا انه يستحيل ان يحتاج المؤمنون للمناولة كل مرة يحضرون فيها القدس الاهي . ان عدم استحالة بسلامون كانت صرخة النفس الانسانية التي ادركت ان لا يخرج من القضية . فظهر في سر الشكر المساهمون فيه والحاضرون دونما اشتراك ورافق ذلك في الوقت نفسه ان تعرض مفهوم الشركة في افخاريستيا الى تضييق عظيم . فبدأت الصلوات الافخارستية تقال سراً في الهيكل . وأخذ الشعب يفقد معناها ويتعلق باعلانات الكاهن المجزأة التي ليست سوى خاتمة لما قبلها من صلوات . وظهر في خلال قرون متعاقبة «Disciplina areani» (التعليم السري) في الحياة الليتورجية ، ليس بالنسبة الى الموعوظين بل بالنسبة الى المؤمنين انفسهم . وبعد ذلك فصل الهيكل عن هؤلاء بالايقونسطاس الذي حجز عنهم كيفية القيام بسر الشكر واصبح هذا سراً خفياً

عظيماً ليس بمعنى العهد الجديد ولكن بالمعنى اليوناني من الكلمة تقريباً.  
«لقد اخذت من الرب ما سلمته اليكم اذ اخذ الرب يسوع في الليلة التي  
اسلم فيها خبزاً وشکر وكسر وقال ..» (١ كور ١١ : ٢٣ - ٢٤).  
ان هذا القول كان يبدو للمؤمنين قوله غامضاً . اذ ان السر العظيم كان  
يتيم في الهيكل ولم يعد الشعب يشتراك فيه . ولم يبق من حضورهم فيه  
 سوى المناولة واصبح بالنسبة الى العلمانيين مجرد الى عمل تقديس منفصل  
 عن اساسه . فلم يعد له صلة بمهمة الكنيسة او بخدمة الشعب . واصبح  
 يقوم بسر الشكر من حصل على امكانية اتمامه بواسطة حصوله على سر  
 الكهنوت . وعندما اصبح مفهوم المناولة الالهية مفهوماً لا يتعدى  
 كونه عملاً شخصياً تقديسياً طرحت آنذاك بصورة طبيعية قضية  
 الشرط الشخصية لوضع من يشتراك فيها . وهذا بدوره اثار قضية  
 الاستعداد او عدم الاستعداد ، قضية استحقاق او عدم استحقاق  
 المتناول للقربان المقدس . وعليينا ان ندرك ان الافخاريستيا ، بصفتها  
 عمل الكنيسة جاماً للكل وقاماً به الشعب بمشاركة رئيسه ، لا تقبل  
 بطرح المشكلة على هذه الصورة . «لانكم في كل مرة تأكلون فيه هذا  
 الخبز وتشربون هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي ثانية»  
(١ كور ١١ : ٢٦) .

## الخاتمة

١ - ان مبدأ الحياة الكنسية الاساسي هو ان كل اعضاء الكنسية يجتمعون دائمًا كلهم سوية . وهذا المبدأ متأت من طبيعة الكنسية نفسها . اذ ان كنيسة الله في المسيح هي الشعب الذي جمعه الله في جسد المسيح . ولهذا فالكنيسة تعمل دائمًا بكل اعضائها والا لعجزت ان تتفاعل وتعيش . ان المسيح واحد وجسده واحد وشعب الله واحد والكنيسة واحدة وهي تعلن عن نفسها في ملء وحدتها دائمًا وفي كل مكان وبالامس واليوم والى دهر الدهور كما انها تعلن عن نفسها في وحدة ملئها . وعليه فاذا عمل فرد واحد عمل بقية الأفراد فيها ، واذا عمل كل الأفراد عمل كل فرد لوحده ايضاً . فلا يمكن ان يكون في الكنيسة اعمال انفرادية غير مرتبطة بعمل الجميع ، اذ ان كل فرد يعمل فقط مع الجميع بيد واحدة وسوية . «أَعْلَمُكُمْ تَجْزِئُونَ الْمَسِيحَ؟ أَعْلَمُ بُولَسُ صَلَبَ عَنْكُمْ؟ أَوْ بِاسْمِ بُولَسٍ اعْتَدْتُمْ؟... أَبُولَسُ أَمْ أَبُولَسٌ أَمْ كِيفَاً، أَمْ الْعَالَمُ، أَمْ الْحَيَاةُ، أَمْ الْحَاضِرُ، أَمْ الْمُسْتَقْبِلُ، كُلُّ شَيْءٍ هُوَ لَكُمْ؟ وَإِنْتُمْ لِمَسِيحٍ وَلِمَسِيحٍ لِللهِ» (١ كور ١ : ٣ ، ١٣ : ٢٢ - ٢٣) . الكل موجودون دائمًا سوية وعليه فالكل سوية بمسير الله . ان المسيحية هي على نقيض الديانة الفردية ، وفوق ذلك ليست ديانة بالمعنى الذي نفهمه غالباً من هذه الكلمة . لقد اعطينا ان نصل الى الله ليس عن طريق

الفردية الانفصالية وليس بجهود اتنا الشخصية وبواسطة وسطاء بل بواسطة المسيح فحسب ، عندما نثبت في جسده الذي فيه اعتمدنا بالروح القدس . « انه وسيط م٤٥٦٢٧٥ Mesitis » العهد الجديد . ولذلك هو وسيط لوصية جديدة حتى انه بواسطة الموت لفداء العاصي التي جرت في عهد الوصية الأولى ينال المدعون موعد الميراث الأبدى » ( عبر ٩ : ١٥ ) .

ان ماسيا لا يمكن ان يكون بدون شعب ولكن الشعب الذي اختاره المسيح مجتمع في جسده ولذلك فالمسيح غير منفصل عن الكنيسة ، كما ان المسيحية غير منفصلة عنه ، وبالتالي فهي دائماً داخلة في مفهوم الكنيسة . ان المسيحي المنفصل لا يخص المسيح بالاستقلال عن الآخرين والجميع ينتسبون اليه سوية عندما يكونون اعضاء جسده ، ولا يستطيعون ان يعيشوا ويعملوا دون الآخرين . لقد كان هذا المفهوم حجر عثرة للمفهوم اليوناني الذي لم يرضمه ويتمثله ، بل ادخل في المسيحية النزعة الفردية . وعندما كان يؤكّد ترتيlianوس ان ليس من شيء مشترك بين اورشليم واثينا وبين الفلسفة والانجيل ، كان آنذاك على حق وان لم يكن بينما في ما كان يقصده في كلامه . فالشيء المشترك لم يكن مفقوداً بين العلم والفن من جهة وبين الكنيسة من جهة اخرى بل كان مفقوداً بين الشعور الكنسي والشعور اليوناني . وبالرغم مما أكده ترتيlianوس نرى ان الضمير المسيحي تقبل الفلسفة اليونانية وحدد تعليمه منطلقاً من افلاطون وارسطوطاليس والرواقيين . وقد أدخلت الهلينة ، بعد تسرّبها في الضمير الكنسي ، محاولة صبغ الحياة الكنسية بصبغة الفردية . ظهرت أولاً هذه المحاولة في الشرق اكثر منها في الغرب وبلغت ذروتها في النزعة البروتستانتية . ان القضية ليست في كون ان البروتستانتية رفضت هذه العقيدة او غيرها بل لكونها جمدت الكنيسة في التقوى الفردية فقط . اذا قامت في هذه الاونة

في البروتستانتية محاولة قوية تهدف الى بعث الحياة الكنسية فيها ، ففي الكنيسة الارثوذكسيّة لا تزال محاولة صبغ الحياة الكنسية بالصبغة الفردية قوية وفي تفاعل مستمر . ونحن باعترافنا اللفظي بـ « يماننا » بـ « الكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية لا نحقق ابداً هذا المبدأ في حياتنا . كـ انه لم يعد باستطاعتنا تحديد ماهية الفرق بالضبط بين الذين يبدون اعضاء الكنيسة وبين الذين يفرزون منها الى حين او بصورة دائمة . اذ ان هؤلاء وائلئك « يحضورون » بوقت واحد الى القدس الاهي . ولا يمكننا ايضاً القول لماذا نحن نعترف بـ « يماننا » في الكنيسة عندما ننقى فيها ذرات منفصلة عن الآخرين الذين لا نعرف عنهم شيئاً . كما اننا لا نعرف عادة مع من نقترب من الكأس . انتا تدخل الكنيسة لأجل ذواتنا لا غير وليس « لنجتمع في الكنيسة » .

٢ - ان النقطة الحساسة في النزعة الفردية كائنة في سر الشكر . فالمبدأ الاساسي القائل « بجتماع جميع الاعضاء سوية دائمًا » يظهر على اشدّه في الاجتماع الافتخاريسي الذي هو اجتماع المؤمنين جميعهم على امر واحد لا يتغير  $E\pi \tau \sigma u\tau$  « Epi to asto ». ففي هذا الامر يخدم الجميع الله والآب ولا يقدم له العبادة مئات منفصلة واعضاء منفردون بل الكنيسة نفسها كمجموعة . ان الكل يشتراكون في الخدمة عندما يخدم المترئس عليهم الذي بدونه لا يمكن ان يكون الاجتماع افخاريسي ، ولا يمكن ان تكون خدمة مشتركة . ولكن هذا الشخص المترئس كائن في الكل وليس منفصل عنهم ، كما ان الكل كائنوں في واحد . وعليه فالجماعة كلها تشتراك بالخدمة مع واحد واذا كان يشتراك بعضهم في الخدمة مع شخص واحد فقد بطلت اذن شركة الجميع في الخدمة . لقد رأينا سابقاً اذه يستحيل التوفيق بين هاتين الموضوعتين ، اذ ان احداها تتفى الاخرى . فالعرف القائم اختار اشتراك البعض في الخدمة معرضاً عن اشتراك الجميع . ان كل الافراد ، بصفتهم مشتركون

في الخدمة مع رئيسهم ، يكونون سوية مساهمين معه في الاجتماع الافتخاريستي . مساحتهم هذه مساهمة فعلية وواقعية ، كان الافتخاريستيا واقعية هي بدورها ليست « روحية » او بالاحرى روحانية . ان كل المؤمنين يجتمعون سوية حول امر واحد لا يتبدل ، ويأكلون كلهم معاً من « مائدة الرب ». الا ان مبدأ الفردية اضعف المبدأ القائل بـ « اجتماع الكل دائماً معاً » ، وعليه ليس من العجب ان يكون قد اضعف ايضاً الصفة الافتخاريستية لل المجتمعات الكنيسة .

ان عرفنا الحاضر يبدو مناقضاً لما كان قائماً في الكنيسة الاولى . فالافتخاريستيا تقام بالاستقلال عن اجتماع المؤمنين ، ونحن الان نبدي رغبتنا في ان يكون اذا امكن عدد اكبر من المصلين في الكنيسة ، ومع ذلك فعدم وجودهم لا يعنينا من القيام بالقدس الالهي . ان اعظم مأخذ على هدم حياتنا الكنيسة كائن في اقام « المائدة الربية » في كنيسة فارغة لامشتري كين فيها . اننا لا نعلم اي نحو ينحو التاريخ : ايجد الرب ايماناً عندما يأتي ثانية ؟ ان الكنيسة المحلية يكن ان تقتصر على اثنين او ثلاثة من اعضائها ولتكنها تبقى كنيسة الله في كل ملئها .اما اجتماعها الافتخاريستي فسيكون « مائدة رببة » يجتمع فيها كل شعب الله . وهذا اثنان او ثلاثة سيكونون « شهوداً للمسيح » على الارض . و اذا تم ذلك فسيكون مأساة التاريخ البشري . ونحن لن نبرر فيه انفسنا بكلام السيد « حيث يجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون بينهم » وذلك لأن زماننا هذا ليس بزمان « الحصاد » و كنيستنا لا تتألف من اثنين او ثلاثة . و سندرك عندئذ ان خطبيتنا الكبرى تقوم في انه في كنيستنا المحلية التي تعد بعض المئات او بعض الالوف من المؤمنين ، يجري الاجتماع الافتخاريستي بصورة طبيعية في هيكل فارغ ، او بصورة سرية وان جواب المؤمنين يكون صحيحاً تماماً عندما يقول الكاهن « تقدموا ». ان في هذا الصمت لأمراً مستغرباً غامضاً . هاءنذا واقف على الباب أقرع فان سمع احد

صوتي وفتح الباب ادخل اليه وأتعشى معه وهو معي . (رؤ ٣ : ٢٠ )  
ولكننا نمتنع عن مائدةه ونبقى صامتين واجرين عند سماعنا صوته  
يدعونا . ان في هذا الصمت بعض الحكم علينا . لنقبل جدلاً باننا نستطيع  
بشرياً تبرير هذا الصمت ، ولكن لا يبعد عن كونه صمتاً . علينا ان  
نفهم هذه المأساة ونتهي منها ، علينا ان ندرك ان وراء هذه المأساة  
النزعة الفردية المحددة ، وان عيشنا في هذه الفردية يشكل خطيبتنا  
الشخصية امام المسيح . كما انه علينا ان نعلم انه لا يوجد في الكنيسة  
اعمال تقديسية تتم لذاتها او بحضور اعضاء منقسمين وبالاستقلال عن  
بقية الاعضاء ، بل ان الكنيسة تقوم بهذه الاعمال دائماً وفي كل مكان  
بصفتها اجتماعاً لشعب الله الخاص .

الكنيسة لا ترفض الصلاة الشخصية يقوم بها اعضاؤها متفرقين ،  
بل تدعو هي نفسها الى هذه الصلاة . ولكن الاعمال التقديسية لا تم  
بالصلاحة الفردية بل تتم عندما يلتئم جميع الاعضاء في الكنيسة . فالاتحاد  
مع المسيح يجري على مائدةه . وهو اتحاد الجميع مع جسده . لكننا  
نجزيء جسده عندما نجعل الأفخاريستيا عملاً فردياً لأننا نتناسي بذلك  
بقية الاعضاء . وبهذا المعنى نعثر على بعض كلمات بولس الرسول الغامضة  
المحيرة : « لأن كل من يأكل ويشرب بدون استحقاق فانما يأكل ويشرب  
محاكمة نفسه لأنه لم يميز الجسد » ( ١ كور ٩ : ٢٩ ) . ان عدم  
الاستحقاق هذا كائن في ان « كل واحد يأتي قبل ان يأكل طعامه  
في وقت يكون فيه الآخر جائعاً والآخر شبعان » ( عدد ٢١ ) .  
فالفرد اذن بانفصالة عن الآخرين يدين نفسه اي يفصل نفسه عن  
الجسد . ان الاتحاد مع المسيح معناه الاتحاد مع المؤمنين أجمعين والعكس  
صحيح . وخرقنا لأحد هذين المبدئين هو خرق للآخر .

« عندما نجتمع في الكنيسة » تكون وكأننا لا نجد في ذلك ما نحن

بحاجة اليه لأن ذلك يتممه جميع الافراد معاً تحت رعاية المترئس «عن الكل ولاجل الكل». وكأننا بذلك نرغب في الانفصال عن جميع الاعضاء لنقف أمام الله منفردين لننال شيئاً ما شخصياً. فمبدأ «كل الاعضاء دائماً معاً» ينقلب اذن الى ضده «ليس كل الاعضاء دائماً معاً».

٣ - ونحن اذا طرحنا خارجاً كل ما علق في حياتنا الليتورجية وخاصة في بحر القرون المتأخرة، فإنه لا يبقى فيها وبين عرف الكنيسة القديم فرق ذو أهمية. ان النقص الاساسي في حياتنا الليتورجية يقوم في اعطائنا الامانة الكبرى ، بالصدفة او بغير الصدفة ، لتفاصيل الدخيلة على طقوسنا الليتورجية مهملاً الجوهر فيها . فمبادئ التعليم الأساسية في الافخاريستيا واضحة فيها تماماً. ان طبيعة سر الشكر محفوظة في عدم تبدل هذه المبادئ . علينا ألا ننسى ان التدابير القانونية التي سقتها اعلاه تظل ضرورية بحسب التعليم الكنسي ، وان كان عرفنا الليتورجي الحالي قد خرق حرمتها . ومهمنا القصوى لا تتناول ادخال بعض التغيير في حياتنا الليتورجية بمقدار ما تتناول معرفة طبيعة سر الشكر الاصلية . عندما ندرك ذلك يسقط بطبيعة الحال كل ما علق في طقوسنا الليتورجية من دخيل في مجرى التاريخ . ولكن من المؤكد انه يجب علينا قبل كل شيء ان نرفض صبغ الحياة الكنسية وسر الشكر وبقية الاسرار بصبغة الفردية .

وإذا ادركتنا ان اساس الحياة الكنسية يقوم على ان كل الاعضاء كانوا يحيطون معاً عند ذلك يرجع كل شيء الى محله الاول . وإذا لم نفهم ذلك بكل نوع من التبديل الداخلي في عرفنا الليتورجي لايعيد الافخاريستيا الى اسسها الاولية بل يبعدها عنها اكثر فاكثر . واريد هنا ان اسوق مثلاً واحداً انهى به كل دراستي هذه : نشاهد اليوم بعض المحاولات لبعث حياتنا الافخارستية . وبانطلاقنا من المبدأ الاساسي القائل بأنه

لایك ان يكون في القدس الاهي « حضور » بل مشتركون فعلياً لا غير تعثر على ميل عند البعض الى المناولة ان لم تكن يومياً ، وان كان يوجد كثير من هذه الفئة، فعلى كل الاحوال وبقدر الامكان في كل قداس الاهي يحضورنه . والمحاولات الرامية الى تغيير التعليم المتعلق بالمساهمة في الاجتماع الافخاريستي دون تغيير التعليم المتعلق بطبيعة الاجتماع الافخاريستي نفسه بصفته اجتماع الكنيسة كلها حول امر واحد ، ان هذه المحاولات لا تؤدي الى بعث الحياة الكنسية الافخارستية ولا تزيل منها تلك النواقص التي وضعنا أماماً أعيننا . أن المشكلة ليست فقط في ان يتناول غالباً اعضاء الكنيسة المنفصلون ولكن في عودة المفهوم الافخارستي الاساسي وان « المائدة الربية » يتناول منها كل الاعضاء سوية في كل مرة تقام فيها . وأردد هنا كلمات القديس أغناطيوس المتوضج بالله التي إليها يعود الفضل الاكبر في ظهور عملي هذا : « ... وبالخصوص ، اذا أعلن لي الرب بأننا كلنا بصورة عامة ننضم

الى واحد      παντες κατ' αυδην παντες κατ'

برحمة الله وبدون اي استثناء فاننا نجتمع  
بامان واحد بيسوع المسيح المتحدر من اصل داود ابن البشر وابن الله ،  
وذلك باقراره للأسقف والكاهن بجامع كلي وبكسره للخبز الواحد  
وهو الدواء الخالد الذي لا يحفظ فحسب من الموت ولكنه يهب الحياة  
الأبدية في المسيح يسوع ». ان الاجتماع الافخارستي الذي يضم  
الكل سوية      παντες κατ' αυδην παντες κατ'

« I Kat'andra kini Pantes ». تحت رئاسة الأسقف والكرنة هو هذا  
الدواء الخالد . لان تكون ( مشتركون سوية ) ذلك هو موضوع  
من المواضيع الرئيسية في كل رسائل أغناطيوس الانطاكي . ان كل من  
يخرج هذه الوحدة يخرق وحدة الكنيسة ويلقي بنفسه وراء حدودها .  
ومن هذا المبدأ نشأ موقف اغناطيوس الاساسي الذاهب الى انه لا يمكن ان

يكون اجتماع افخاريستي بدون الاسقف اي انه  $\text{επίτοιχος}$   $\text{επίτοιχος}$  .  
 » Epi to afto « يشتمل على الاسقف ايضاً . لقد كان يجب على الكل ان يجتمعوا معاً لاجل كسر الخبز وان يأكلوا كلهم سوية من الخبز المكسور . وبالظاهر كان اغناطيوس يشدد على ان يجتمع الكل معاً غالباً اذ يقول : « حاولوا ان تجتمعوا غالباً لاجل الافخارستيا وتجيد الله لأنكم اذا اجتمعتم معاً غالباً تسقط قوى الشيطان » <sup>١</sup> .

لم يكن باستطاعة اغناطيوس ان يفكر ان الاجتماعات الافخارستية يمكن ان تقام لاجل فئة من المؤمنين فحسب وان يأكل شخص او اثنان من الخبز المكسور .

ان المناولة الفردية عمل فردي وليس عمل الكنيسة . ولذلك لا يمكن ان نعثر على بعث الحياة الافخارستية في طرق المناولة المتكررة يقوم بها افراد الكنيسة منفصلين . ان هذه الطريقة موجودة تماماً في عرف كنيستنا الحالي . فنحن باعادتنا غالباً وبقدر الامكان عملاً تقديسياً انفردنايا لا نتغلب ولا بصورة من الصور على النزعة الفردية في حياتنا الكنيسية . وهذه الطريقة تعارض على الاقل السبيل الذي يقودنا الى تقوية مفهوم الافخارستيا كسر قائم بنفسه . ان المناولة في كل قداس بالاستقلال عن الآخرين ، هي حل آخر لقضية المناولة المتكررة او غير المتكررة . ففي الاستعمال المتبوع حالياً يمكن ان يكون « عدم استحالة » بلسامون اصوب من المناولة اليومية . ومهما تناول افراد منفصلون من مرات فان مناولتهم هذه ليست مؤهلة لبعث مبدأ الحياة الافخارستية الاساسي الا هون ان يكون الجميع معاً . واذا كان القدس الالهي يقام يومياً او يومياً تقريرياً فلا يمكننا ان تتطلب من الكل ان يكونوا معاً دائماً .

١ - الرسالة الى اهل افسس ( ١٣ : ١ ) في الترجمة الروسية ، صفحة ٥٩ .

وعليه اذن فالاشتراك في الافخاريستيا المقامة في بحر الاسبوع لا يمكن ايضاً ان تكون السبيل الذي يبعث من جديد حياتنا الافخارستية . ان من اقامه الله رئيساً على الكنيسة لا يمكن ان يتم سر الشكر لذاته او للبعض بل فليتممه لصالح جميع الاعضاء الملئمين سوية . اني ادرك ان ذلك يمكن ان يbedo غير تقوى ولكن لا ننسى ان ليس كل تقوى تلائم حياة الكنيسة الاصلية . ان التقوى الكنيسة هي تقوى **πάντες πάντης** **αότινος** «Kini pantes» «شركة الكل» وليس فردية . ان الكنيسة لم ترفض هذه قط على انه لا يمكن للتقوى الفردية ان تغير في التقوى الكنيسة .

ومهما قمنا بالقداس الاهي من مرات فان القداس يوم الاحد او قداس الاعياد العظيمة هو بصورة خاصة «المائدة الربية» في «يوم الرب» . ان الاجتماع في اول يوم من الاسبوع يظل اجتماع الجميع المثالي حول امر واحد **τότε αύτος επίτοιμος** «Epi to afsto» بالاستقلال عن عدد المشتركين فيه . وعليه فواجبينا قبل كل شيء هو ان نصبو الى ان يتناول الكل في الاجتماع الافخارستي يوم الاحد ، وعلينا ان نعترف بشدة ان الذين يتناولون هم بالفعل وحدهم المشتركون في «المائدة الربية» .

و اذا كان علينا ان نتكلم عن بعض قضایا حياتنا الكنيسة الحالية غير الصحيحة فعلينا قبل كل شيء ان نتكلم في موضوع اجتماع اعضاء الكنيسة دائمًا معًا كما كان الحال في ایام الرسل وفي الكنيسة القديمة : **πάντες πάντης αότινος** «kini pantes» «حول امر واحد **τότε αύτος επίτοιμος** «Epi to afsto» كل الاعضاء معًا و دائمًا .

# محورياً على الكتاب

## الصفحة

٥

## مقدمة

الفصل الاول : «عندما تجتمعون في الكنيسة ...»

١٠

١ - اجتمعوا دائمًا كلّكم معاً

٢٦

٢ - الاجتماع الافخاريسي واحد

٤٠

الفصل الثاني : المشاركة في الخدمة

٤١

١ - الاسقف كتمم سر الشكر

٦٦

٢ - اشتراك الشعب مع الاسقف

٨٤

٣ - الكاهن خادم سر الشكر

٩١

٤ - اشتراك الكهنة في الخدمة

٩٨

الفصل الثالث : المناولة

٩٩

١ - شركة جسد المسيح ودمه

١٠٦

٢ - الاشتراك في مائدة الرب

١٢٥

## الخاتمة

تم طبع هذا الكتاب في  
٢٣  
تشرين الأول سنة ١٩٦٩